

الأثر الأخلاقي للنزعة الصوفية في فكر المستشرق أنا ماري شيمل

إعداد

أ.مروة فتح الله نصرالله جاد الله
أ.م.د. عصام كمال المصري
باحثة ماجستير
أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد
قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة دمنهور

دورية الانسانيات . كلية الآداب . جامعة دمنهور
العدد الثاني و الستون - يناير - الجزء الثالث - لسنة 2024

الأثر الأخلاقي للنزعة الصوفية في فكر المستشرقة أنا ماري شميل أمروة فتح الله نصرالله جاد الله أ.م.د. عصام كمال المصري

الملخص

التصوّف الإسلاميّ من بين العلوم الإسلاميّة التي أثّرت وبشكل كبير في المفكرين والمستشرقين الأوروبيين لم فيه من قيم روحية مثلى، والصوفيّة من أهمّ الفرق الإسلاميّة التي أثارت اهتمام أغلب الدّراسات الإستشراقية نظراً للدور الفكريّ الذي يؤديه في مسيرة الإسلام، فتأثّروا بشخصيات صوفية معروفة في التصوّف الإسلاميّ وتناولهم بالدّرس والترجمة، نموذج "أنا ماري شميل" مشرف ومشرق لهذا الإستشراق، قراءتها مختلفة وتأثيرها غير عادي وإنصافها للإسلام والمسلمين منقطع النّظير، ولهذا أثارت اهتمامنا واعتبرناها مثالا مشرفاً يعبر بصدق عن قيم الإسلام وأخلاق المسلمين.

الكلمات المفتاحية

الإستشراق - التصوف - الألمان - الموضوعية - الإنصاف - شميل - العلمية - التراث

Abstract

Islamic mysticism is among the Islamic sciences that greatly influenced European intellectuals and orientalists due to its ideal spiritual value. Sufism is one of the main Islamic groups that interested most orientalist studies given the intellectual role that it plays in the Islamic march. They were influenced by well-known figures of Sufism in Islamic mysticism and their dealing with translation and lesson. "ana marie shemil" is an honored model for this orientalism.

: Keywords.

Orientalism; Germans; Objectivity; Equity; Shemel; Scientific; Heritage.

المقدمة

مما لا شك فيه أن بدايات التصوف الإسلامي نشأ كنزعة فردية تدعو على الزهد في الدنيا وعن ملذاتها والإعراض عن زخرفها هروباً إلى الله، ولعل هذه النزعة جاءت كرد فعل للتجاوزات التي شهدتها المجتمع الإسلامي مع بدايات القرن الثاني الهجري وانغماسه في الترف الحضاري.

ومع بزوغ القرن الثالث الهجري صارت هذه النزعة علماً مدوّناً أطلق عليه علم التصوف " بعدما أن كانت الطريقة عبادة ، ومن الذين نبغوا في هذا العلم وألّفوا فيه المصنفات نذكر : السهروردي في كتابه : عوارف المعارف والقشري في رسالته، وأبو القاسم الجنيد... وغيرهم كثير .

فما حقيقة التصوف الإسلامي عند الغرب؟، وكيف أثر في الاستشراق الغربي والألماني بالخصوص؟، وكيف تأثرت المستشرقة الألمانية أنا ماري شميل بالمتصوفة المسلمين والشعر الصوفي العربي؟.

مع امتداد رقعة الدولة الإسلامية إلى حدود بعيدة على مساحة جغرافية واسعة أرسى الحضارة العربية في كل رقعة حدائق فكرية وفلسفية وأدبية، والواقع أن تأثير الحضارة الإسلامية قد امتد بمقدار واسع جداً وبكيفية ملموسة إلى جميع ميادين الحياة، مما دفع المستشرقين الأوروبيين إلى الاهتمام بالفكر الإسلامي، وبهذه الحضارة التي خرجت من صحراء قاحلة وأهلها بدو لا يمتنون إلا الرعي والتجارة عبر قوافل الترحال مما أثار شغفهم وأنى فضولهم في معرفة سرّ ذلك.

أخذ التصوف محاله في ذلك الاهتمام والتأثر، فقد كان حضور التصوف في مختلف مناطق العالم ظاهرة وسبب تناولها بالدرس والبحث، فقد عنى الأوروبيون بدراسة حضارة الشرق وثقافته وجمع المعلومات عنه، وبدلوا جهوداً مضنية في ذلك وقد شكل الدين الإسلامي منذ ظهوره مشكلة لأوروبا المسيحية التي نظرت إلى المؤمنين وكأنهم أعداء يقفون على حدودها ويهددون ثقافتها.

تناول المستشرقون من علماء أوروبا الإسلام والمسلمين بالدراسة من نواحي مختلفة و في مجالات عدة ، فكان منهم ممن سيطر عليه الهوى والتعصب فأضله على جهل أو علم، ومنهم فضل وأثر أن يكون منصفاً موضوعياً إلى حد بعيد يقر بالحق متى هدي إليه في نتائجه البحثية، وهاته الدراسات التي تميزت بالجد والعمق للإسلام لم تبدأ إلا منذ القرن التاسع عشر، حينما داعت ثقافة الشرق والبلاد الإسلامية وأخذ

الغرب ييسط نفوذه وسلطانه باسم الاستعمار على الشرق والبلاد الإسلامية ، مما قر به من هذه الشعوب وفرض عليه التأثير بها سواء بدافع الاحتكاك المباشر أو بالتأثر الثقافي والديني والاجتماعي وغيره.

يحتل التصوف أهميته خاصة لدى المستشرقين نظرا للدور الفكري الذي يؤديه في مسيرة الإسلام فقد أخذت أقلامهم بالكتابة عنه وعن أصوله وأهم شخصياته ودرسوها دراسة مستفيضة، وذهبت أغراضهم بعيدة عن واقع حال التصوف وجاءت نتائج بحوثهم مختلفة حول أصله ونشأته، وأخذوا من حادثة الحلاج حدثا مهما يثبت مظلومية الحلاج في الإسلام.

أخذ التصوف اهتمام الباحثين وبداية الطريق فيه واضحة كما هو معروف لديهم، ولا شك أن التصوف كعلم قائم حاول أن يحل محل الفلسفة وعلم الكلام وغيرها من العلوم الأخرى، كما يمتاز التصوف بنوع خاص من المعرفة لا نجد لها في الأنواع الأخرى من الفكر الإنساني والإسلامي، وتوصف المعرفة الصوفية على أنها معرفة ذوقية كشفية إلهامية ، باطنية تأتي القلب مباشرة دون تشغيل العقل ودون استخدام الحواس، تلمس الشعور الإنساني في غير طلب ولا تعمد.

ومما دفعني إلى اختيار هذه الورقة البحثية جملة من الأسباب منها :

1- فهمها الحقيقي للإسلام جوهرًا ومضمونًا، فهي التي نشأت وعملت أكاديمياً في دولة إسلامية هي تركيا، تقربت من المسلمين واستمعت إليهم وعاشتهم، عكس أقرانها من المستشرقين الذين عاشوا وماتوا دون أن يروا أي بلد إسلامي، فجاءت أحكامهم جائزة من خلال القراءات - فقط - متأثرين بالثقافة الغربية المناهضة للإسلام وأهله.

2- غزارة إنتاجها العلمي الأكاديمي في كافة التخصصات، وفي حقل العلوم الإسلامية من تراجم، وفهارس، وسير، وأعلام، وروحانيات، وتصوف، وأديان، في مسحة فلسفية وبمنهج رصين.

3- عدم وجود دراسة كافية حول هذا الموضوع تحديداً سواء في الجانب الأخلاقي، أو العقدي في فكر آنا ماري شيميل.

4- كرسيت حياتها في البحث والدراسة عن حقيقة الإسلام، متخذة منهاجاً تميز بالعباء الروحي، إلى جانب الدقة والموضوعية، واعتمدت على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما اعتمدت في دراساتها على المصادر الإسلامية، وكتب التراث، فكانت دراساتها الصوفية موثقة ومنهجيتها واضحة، ولها دوراً بارزاً في تحسين صورة

المسلمين والعرب، والدفاع عن حضارتهم وأخلاقهم وعقائدهم وثقافتهم، محاولةً توضيح أن الإسلام دين الإنسانية الحقيقي، وهو ما جعلته عنواناً لأهم مؤلفاتها على الإطلاق.

5- سعيها المستمر بكل ما آتاه الله من قوة وبصيرة، إلى تنوير الغربيين وتصحيح مقولاتهم الافتراضية عن الإسلام والمسلمين؛ وكأن لسان حالها يقول : الإسلام أيها العقلاء المنصفون، لم ينشر بحد السيف فرققا به.

6- حالة الفضول التي انتابتي حين متابعة عناوين مؤلفاتها عن الأخلاق والعقيدة الإسلامية ، فضلاً عن قراءتها والاطلاع عليها، والتي كان منها مؤلفها القيم وأن محمداً رسول الله، وكذلك الأبعاد الصوفية في الإسلام، والجميل والمقدس دراسات غير تقليدية في الحضارة الإسلامية، ومؤلفها نموذج مشرق للاستشراق، وكذلك كتابها روى أنثى، والإسلام دين الإنسانية، ومؤلفها أوروبا في مواجهة العالم الإسلامي . وغيرها كثير كان دافعا إلى مطالعة هذه المؤلفات ؛ للوقوف على حقيقة رؤاها في الإسلام والمسلمين ، فكانت بحق موضوعية منصفة . تمتلك أدوات النقد والتقييم .

الدراسات السابقة :

لا أدعي أنني أول من تناول أنا ماري شيميل بالبحث والدراسة، فقد سبقني إلي ذلك الكثير من الدارسين ، كانت دراساتهم حافزاً ودافعاً وزاداً لي في طريق آفاق المعرفة عنها، ومن باب الموضوعية والإنصاف ، أشير إلي أهم هذه الدراسات السابقة علي النحو التالي :

1- محمد عمارة : أنا ماري شيميل نموذج مشرق للاستشراق، ط ١، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٨، قدم محمد عمارة في هذه الدراسة سيرة هذه المستشركة وجهودها القيمة، التي تركتها وكانت دراسة قيمة وافية في محتواها، غير أنه لم يوضح فيها النزعة الأخلاقية والعقدية بشكل واضح ودقيق، كما عرضته أنا ماري شيميل في مؤلفاتها الأمر الذي رأيت طرحه في هذه الورقة البحثية .

2- حسن ابن محمد سفر : الموضوعية في الاستشراق المستشركة الألمانية أنا ماري شيميل (١٩٢٠ - ٢٠٠٣) نموذجاً، المجلد (٢) العدد (٥)، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ٢٠٠٥ .

ركز حسن ابن محمد على الجهود التي بذلتها أنا ماري شيميل؛ لعرض حقيقة الإسلام في صورته التسامحية الحوارية البعيدة عن العنف، والتطرف، والإرهاب،

وتناول صفات الإستشراق الألماني كمدخل تعريفي للتعرف على أنا ماري شيميل ، وتكوينها العلمي في ورقة بحثية صغيرة غير أنه لم يركز على الجانب الأخلاقي أيضاً ، كما لم يتطرق إلى الجانب العقدي في فكرها .

3- فائزة بنت عمور : التصوف الأنثوي في الثقافة الإسلامية في مرآة الآخر أنا ماري شيميل من خلال كتابيها روحي أنثى وعنادل تحت الثلج ، مجلة العلامة ، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب ، العدد (٧) ، ديسمبر ٢٠١٨ .

أكدت فائزة بنت عمور في دراستها على قصة أنا ماري شيميل مع التصوف الإسلامي تحديداً ، وكذلك الروحانية الأنثوية في الثقافة الإسلامية ، ولا شك أنها دراسة، غير أنها لم تتطرق لقيم أنا ماري شيميل والنزعة الأخلاقية عندها ، ملقية الضوء فقط على التصوف الأنثوي ، وخاصة في كتابيها روحي أنثى، وعنادل تحت الثلج من قيمة بين مؤلفاتها .

4- أمل حسني حلمي مهران : أنا ماري شيميل ودفاعها عن الإسلام (١٩٢٢ - ٢٠٠٣)، مجلة بحوث كلية البنات جامعة عين شمس، العدد (١) الجزء (٢) العلوم الإنسانية والاجتماعية، يناير ٢٠٢٢ .

تهدف الدراسة إلى الإسهام في إبراز شخصية أنا ماري شيميل والتعريف بها، بالإضافة إلى بناء جسور التعارف والتقابل بين الشرق والغرب .

وتوصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج منها :

أ- تميزت شيميل عن غيرها من المستشرقين بأن دوافعها لدراسة الإسلام كانت حيادية خالية من الأغراض السياسية والاستعمارية .

ب- ركزت شيميل على صورة المرأة وكيف تم تكريمها في الحضارة الإسلامية على عكس الحضارات الغربية .

ج- تعد شيميل من أهم المستشرقات الألمانيات اللاتي ساهمن بفكرهن في دعم السلام بين شعوب العالم حيث كانت دعوتها دعوة إلى التفاهم والسلام بين الشرق والغرب فكان هدفها هو فتح أبواب الحوار ومد جسور التعاون والتواصل .

ومن الموضوعية وأمانة البحث العلمي أقول هذه الدراسة القيمة اعتمدنا عليها في

العديد من النقاط الجوهرية التي أبرزت صورة الإسلام في فكر أنا ماري شيميل

إشكالية الدراسة

- تتمحور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن التساؤل المحوري الهام : ما الأثر الإسلامي للنزعة الصوفية في فلسفة المستشرقة أنا ماري شيميل ؟ وتتطلب الإجابة عن هذا السؤال الإجابة عن بعض الأسئلة الفرعية علي النحو التالي :
- 1- ما الإرهاصات الفكرية عند أنا ماري شيميل .؟
 - 2- ما الأسباب التي دفعت شيميل للاهتمام بالإسلام إلى الحد الذي جعل البعض يجزم بإسلامها.؟
 - 3- هل استطاعت أنا ماري شيميل بالفعل تحقيق نتائج ملموسة ومرضية داخل المجتمع الألماني والإسلامي من خلال نزعتها الأخلاقية الصوفية العرفانية.؟
 - 4- ما أبرز المحاور التي سلطت عليها أنا ماري شيميل الضوء في نزعتها الأخلاقية والعقدية .؟
 - 5- كيف توصلت من خلال تصوفها العرفاني إلى أن النبي الكريم صلي الله عليه وسلم هو شفيع يوم القيامة حتى وصفته بأنه رحمة للعالمين .؟
 - 6- لماذا رأت أن الصوفية قد عمقت الرسالة الأساسية للإسلام .؟

محتوى الدراسة

لتحقيق أهداف هذه الدراسة، ولتدقيق صدق فروضها وتساؤلاتها وفي ضوء المنهجية العلمية التي التزمت بها تم تقسيم هذه الدراسة إلى العناصر التالية :

أولاً : المجاهدة والنفس الإنسانية في فكر أنا ماري شيميل .

ثانياً : الشيخ والمريد عند أنا ماري شيميل

ثالثاً : المحبة الصوفية عند أنا ماري شيميل

ثم نتائج الدراسة ، والمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

منهج الدراسة

من أجل الوصول إلى غاية هذه الورقة البحثية اقتضت طبيعة الدراسة، استخدام المنهج التحليلي والذي اعتمده من خلال استقراء كتب المستشرقة أنا ماري شيميل ذاتها محاولا استخراج آرائها المبتوثة في طي مؤلفاتها حول النزعة الأخلاقية والعقدية عندها، وكذلك المنهج النقدي تم استخدامه ؛ للوقوف على تقييم آرائها كلما اقتضى الأمر إلي ذلك.

التمهيد

وإذا عدنا شيئاً فشيئاً إلى الوراء فإن أول نص وصل على الغرب عن التصوف الإسلامي، وأول دراسة في هذا المجال هو نص "رابعة العدوية" ناسكة القرن الثامن، التي جاء بقصتها إلى أوروبا أواخر القرن الثالث عشر جوينفل GONEVEIL مستشار الملك لويس التاسع، وظهرت شخصية رابعة في دراسة صوفية أخرى الحب الصادق بالفرنسية عام 1040م، كما نشر أول عمل صوفي مكتوب بالعربية للمرة الأولى في عام 1638م عبارة عن قصيدة شعرية للشاعر المصري "ابن الفارض" نشرها العالم "فايير تسيو Farriciuce" وشغلت الترجمة اهتمام أغلب المستشرقين فكانت ترجمة الغرب لرابعيات "الخيام" أهمية قصوى، ولعل أهم ترجمة لها تلك التي قام بها إدوارد فتز جرالذ Fetzegrad، وكذلك "منطق الطير للعطار"، فكان لهذه الترجمات وقع مؤثر في نفوس الأوروبيين.

تتفق أغلب المصادر التاريخية والدراسات عن الاستشراق أن القرن التاسع عشر هو ذروة النشاط الاستشراقي، حيث بدأت هذه الدراسات حقبة جديدة نحو الشرق، وعلموه فالرحلات والبعثات العلمية وترجمة الكتب خاصة عن تاريخ التصوف الإسلامي مما وضع صورة هذا الأخير عند الأوروبيين وأصبح لديهم تصوراً أفضل له وعن بداياته وطبيعته وكان أول كتاب عن الصوفية قد كتبه العالم الألماني "طولوك" F.A.Tholu، نُشر عام 1821م بعنوان التصوف أو فلسفة وحدة الوجود الفارسي، وتلاه كتاب آخر له بعنوان باقة زهور من تصوف الشرق، وكذلك نجد "بالمر" E.H.Pimar، وكتابه "التصوف في الشرق سنة 1867م، فقد أكد فيه أن التصوف هو نتاج تطور الدين الأول لدى الجنس الآري.

وما كتبه الفرنسي "أرنوا" Ro.Arnaud، إذ نشر الكلام على الصوفية للأبياري متنا وترجمة الجزائر 1889، وجهود المستشرق الألماني "ليون جونييه" L.Gauthier الذي نشر قصته "حي بن يقظان لابن طفيل" 1900، ولعل أهم جهود في التصوف هو ما عرف عن المستشرق "جينون" Guenon.Rene، إذ عُني بالدراسات الصوفية الإسلامية. ثم نعود إلى المستشرق "ماسينيون" L.Massignon، والذي يعد رائد الدراسات الصوفية ليس في فرنسا فقط بل في أوروبا، إذ تخصص في الدراسات الصوفية وأعد أطروحته للدكتوراه (الأم الحلاج) وخصص جميع أبحاثه في أصل نشوء التصوف وهو يعد مرجع الغرب في التصوف.

اتسمت أفكار المستشرقين بالكتابة عن التصوف بالنظرة الغربية المستمدة من الدوافع الدينية من وراء دراسته، وقد كانت دراستهم له دينية لاهوتية بدأت بدوافع كنسية قام بها النساك الغربي منذ العصور الوسطى حتى يومنا هذا، محاولين في ذلك تثبيت أثر المسيحية في الدين الإسلامي، فكانت مؤلفاتهم تبحث في تأثير المسيحية في الأفكار الإسلامية وقد تخصص في هذا الجانب عدد قليل منهم ومن أبرزهم:

1- رنولد نيكلسون : Nicholson يعدّ حجة في التصوف فقد اختص به دون غيره من الدراسات الإسلامية، حقق ديوان (متنوي ومعنوي لجلال الدين الرومي) وكذلك كتاب "معارف الأديان ودائرة المعارف الإسلامية" وأهم كتبه الصوفية في الإسلام، وصف أحوال الصوفية والتصوف الإسلامي، وأكد على أنّ أصل التصوف ينحدر من جذور مسيحية وتبعه الكثير من الباحثين في هذا المجال.

2- لويس ماسينيون : Massignon : من أصول فرنسية ، قرأ أشعار "المزيد الدين العطار" الشاعر الفارسي الصوفي؛ وتدور حول مصرع الحلاج وفيها تمجيده لشهيد التصوف ومن أشهر ما كتبه "آلام الحلاج.

3- هنري كوربان : Henery Corbin يختلف منظور الفلسفة والتصوف عنده عن المستشرقين، فهو الذي درس التصوف على الطريقة الإيرانية ينزع نزوعاً يستند إلى الوجدان والتجربة الصوفية، وإذا كان ماسينيون قد اشتهر بالحلاج فإن كوربان اشتهر بالسهروردي، احتل "السهروردي" أهمية كبيرة في دراسته فقد ألقى الكثير من المحاضرات عنه وألف الكتب عن حياته وآثاره.

4- تور أندريه : Tor.Andrea : من كبار المستشرقين السويديين ومن أعلام المتخصصين في تاريخ الأديان والسيكولوجيا، ويعد كتابه (التصوف الإسلامي من المراجع المهمة في دراسة التصوف فهو لا يستعرض التصوف الإسلامي وأهدافه فحسب، بل يترك أقطابه يعبرون عما يجيش في خواتمهم، فالكتاب واضح في سرد الأحداث وتفصيل الروايات عن منشأ أصل التصوف، فهو يملك دقة الوصف في كشف الحقائق التاريخية في تفسير معنى الزهد والكشف عن أسرار الحياة الباطنية عند الصوفيين، فهو يبحث في البداية العلاقة بين التصوف والمسيحية، ثم ينتقل إلى معنى التصوف، ثم الوحدة والمجتمع ، ثم ينهي كتابه بالحديث عن التوكل على الله والحب الإلهي.

بعد عرض جملة من المستشرقين والمفكرين الأوروبيين الذي كانوا من الأبرز في دراسة التصوف الإسلامي والكتابة عن شخصيات صوفية إسلامية بارزة نصل إلى نموذج هذه الدراسة البسيطة الذي اخترناه، لم قدمه من أعمال جلييلة في باب التصوف الإسلامي وكانت هذه المستشرقة مختلفة في دراستها وتأثرها بالإسلام أولاً و التصوف الإسلامي والشعر الصوفي ثانياً، هي المستشرقة الألمانية "أنا ماري شميل"، هي من القلائل الذين كرسوا جهودهم في دراسة التصوف الإسلامي وتاريخه حيث قال عنها موقع روايتي الثقافي: "إنها تعد نموذجاً للذين أحبوا بصدق الحضارة الإسلامية، ووقفوا على الإسهامات العظيمة التي قدمتها للإنسانية، وقدموا من خلال دراساتهم وأبحاثهم خدمات رائعة للإسلام، بل وقدم بعضهم تضحيات لأجل الثبات على مواقفهم".

فقد نجحت في إدراك الكثير من الأهداف السامية التي عجز عن تحقيقها غالبية نظرائها، ومرد ذلك إلى الخلفية التي تعاملت بها المستشرقة الألمانية مع الحضارة الإسلامية التي درستها، فقد ارتكزت هذه الخلفية على الكثير من الحب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها.

كانت "شميل" تعرف من اللغات ما لا يعرفه غيرها من دارسي الإسلاميات، وكانت سببا في تعريف الشرق بشخصيات صوفية من الهند والباكستان و تركيا لم يُسمع عنها من غيرها.... كانت تستطيع أن تترجم أعمال الرومي كلها كما فعل نيلكسون لكنها لم تفعل... لم تملك من قدرة على نقل هذا العالم الشري إلى أي لغة مهما كانت، فكل اللغات تعجز عن نقل عالم مولانا الرومي، ورأت "شميل" أن رسالة الإسلام أوسع أن تستقل بها منطقة أو يحدها من الزمان، فتجاوزت الأزمان وخرقت حدوداً وسياحاً صنعه (أهل الإسلام) من أجل خدمة الإسلام.

تعتبر من أهم المستشرقين في العصر الحالي، وهي محل ثقة وإجماع في الشرق والغرب، جابت البلاد الإسلامية والتقت بالساسة والزعماء، وكرمت هنا وهناك، وكان التكريم الشعبي لها أهم، وأنفع فهي لم تكن لتكتب للنخبة فقط، بل كانت تكتب ليقراها الكل دون تمييز، ولعل سهولة أسلوبها وبساطتها جعلها معروفة بشكل كبير عند جمهور البسطاء في البلاد الإسلامية، هذا بالإضافة إلى عشقها للشعر العربي ونظمها أبياتا توحى بشاعريتها، ومن ذلك نقلها الى العربية بيتا من الشعر للشاعر والفيلسوف الألماني "يوهان جوته" الذي يقول في صياغتها:

إن يك الإسلام معناه القنوت فعلى الإسلام نحيا ونموت.

كان إنتاج "شميل" المعرفي ثريا للغاية، فقد ألقت ما يربو على المائة كتاب وبحث احتل التصوف فيه النصيب الأكبر، ونظرا لأن هذه الشخصية لم تتلحقها في الدرس العربي ولم تُقدم حتى اليوم جهودها في درس الفلسفة الإسلامية والتصوف ارتأينا أن نقدّمها ولو بشق بسيط.

يعد كتابها " الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف" مرجعا مهما لمن يدرس التصوف في الشرق والغرب، إذ وضعت في كتابها الخطوط الأساسية للمنظور التاريخي لحركة التصوف في المشرق، وناقشت جميع النظريات الغربية في تفسيره ويكاد يكون منهجاً موضوعياً في وصف الإطار العام لتاريخ التصوف باعتمادها على مؤلفات كبار الصوفية . ويحتوي الكتاب على كبار شعراء الصوفية، وكذلك أهم رواد التصوف وأهم الطرق الصوفية في المشرق والمغرب.

وقد أظهرت الدراسة تفوقاً في لم شتات فكر متتابع متنام على امتداد القرون في بيئات متباينة في غاية التباين، وتأتي أهمية الكتاب في عمق ثقافة المؤلفة وسعة إطلاعها على تاريخ المسلمين وفكرتهم ومعتقداتهم، وعدت المستشرقة من دعاة الحوار بين الأديان والحضارات إذ كانت ترى بأن الحوار هو الطريق الوحيد إلى خدمة الحرية والتفاهم وإزالة البغضاء والحقد والعنف والتعصب، وهي تنظر إلى الإسلام على أنه دين سمح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمن دون معرفة متبادلة واحترام وثقة متبادلة لا يتحقق أي سلام مرجو، وبذلك كان لها الفضل في تعريف الشعب الألماني خاصة والأوروبيين عامة بمنهج الإسلام والحضارة الإسلامية، وهي تدرك أن الإسلام في تحولات وأيديولوجيات لم يعرفها من قبل.

كما أصدرت كتاب عن حياة رسول الله محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وعندما هاجمتها بعض وسائل الإعلام الألمانية عن موقفها الإيجابي من "رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابت "نعم" إني أحبه"، وفي إجابة عن سؤال وجه لها عن رأيها في الإسلام قالت "شميل": " إني أحب الإسلام، ولولا أنني أحبه ما كتبت عنه أكثر، من ثمانين كتاباً، وقد وجدت فيه دين تسامح وروحانية، وتوقفت كثيرا عند كلمات القرآن: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " البقرة 256 ، وقد قُلْتُ لمن وجهوا إليَّ التَّقد ، "إني أحبُّ الرَّسُولَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

ويذكر عنها الأستاذ "أحمد زكي" أنها عندما كانت تذكر "الرسول صلى الله عليه وسلم" تقول: "قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تذكر الحديث النبوي الشريف سندا واتصالاً ومنتاً" ولذا أوصت الأستاذ أحمد زكي يماني أن يقرأ سورة الفاتحة على قبرها بالعربية يوم دفنها، ففعل.

في إطار اهتمام الباحثين بما كتبت "أنا ماري شميل" نعثر في الكتابات العربية على تصنيفها في دائرة المستشرقين المنصفين للإسلام، وحينما تحاور "شميل" فإن حوارها يتحول من إجابات على بعض الأسئلة إلى محاكمة الغرب، كما قضت شطراً من حياتها في تدريس الطلاب في تركيا، وألقت عشرات المحاضرات عن التصوف والإسلاميات، فقد ترجم كتاب "سيرتها الذاتية" عبد السلام حيدر وكتاب "مرأة الروح" "العيسى علي العاكوب، فهو وعبد السلام حيدر من من قدموا هذه الشخصية العظيمة بالشكل اللائق بها علمياً.

وهي تردُّ بصيغة أخرى وبطريقة مثلى، وتعبّر عن رأيها في الإسلام دفاعاً وحباً. "إذا ما كان المرء يرميني المرة بعد الأخرى بأنني أرى الإسلام بصورة رومانتيكية، فإنني يمكن أن أجيب بمقولة القديس أغسطين: "المرء يستطيع أن يفهم شيئاً ما فقط على قدر ما يحبه". ولأنني ومنذ طفولتي قد أحببت عالم الشرق، ولأنني أتواصل مع المسلمين بلغاتهم، ولأنني عشتُ مع أسرة مسلمة متدينة، فإنني أعتقد أيضاً أنني يمكنني أن أفهمهم بعض الشيء" بهذه الكلمات أجابت شميل على بعض الأسئلة التي كانت تلاحقها من قبل الجمهور الغربي إزاء ما كانت تكتبه بشكل إيجابي عن الإسلام مركزة على جانبه الجمالي الذي اكتشفته عبر رحلة طويلة في العالم الإسلامي، درست في جامعاته، ونشرت تراثه، وحاضرت في مجالسه العلميّة، وخالطت الرجال والنساء والأطفال.

كلّها عبارات تحمل من قيم التسامح والحبّ والمعاشرة الطيبة التي كانت تجمعها بالمسلمين من خلالها احتكاكها المباشر بهم، فاكتشفت تلك الأخلاق السمحة الموجودة فيهم، والتي ينص عليها دين الإسلام في كلمة الدين المعاملة، فقد عاملوها بلطف ورحمة ومحبة فكانت ردة فعلها حباً وإقراراً بحسن المعاملة وتجسيد القيم الروحية النبيلة، سواء كان ذلك في المجتمعات أو في الإعلام.

الصوفية التي عاشرتها أيضاً أو قرأت عنها، فالفكر الصوفي وما يحمله من قيم نبيلة جذب إليه الدارسين الأوروبيين، ومن بينهم وأبرزهم "أنا ماري شميل" التي

كتبت عن الإسلام والصوفية الإسلامية، وعن "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم"، فهي نموذج مشرق للاستشراق، كما قال "ثابت عيد" وسماها عميدة الاستشراق الألماني وكتبت كتاب بعنوان "الشرق والغرب" ترجمه إلى العربية "سلام" حيدر وكتاب "الشمس المنتصرة" وكتاب "الجميل والمقدس"، وكتاب رمزية الحروف في المصادر الصوفية، هذه من أبرز الكتب والأعمال القيمة التي قدمتها في دراستها للإسلام والتصوف الإسلامي.

إن اهتمام أنا ماري شمیل بنقل الأشعار الشرقية إلى الألمانية والانجليزية وغزارة ما نشرته من ترجمات رائعة يضعها في مصاف الأخلاف الروحيين للمستشرق الألماني الكبير "فريدريخ رويكريت" الذي كان أيضا شاعرا ومترجما، بل الواقع أن الترجمات تضعها على قدم المساواة معه.

تأثرت بشعراء متصوفة كثر كتبوا في الشعر الصوفي الإسلامي أمثال الشيخ الأكبر ابن عربي، الذي وضع نظام علمي للتصوف أكثر من كونه "صاحب غيبة صوفية" أمر أفاد الأجيال اللاحقة حيث وجدوا نظاما شاملا استطاعوا أن يوظفوه، هذه السمة التي أحببتها شمیل في المجتمعات الإسلامية وقد تحدثنا عنها سابقا على روح التسامح والإخاء التي استنبطتها تأثرت بها من خلال معايشة المسلمين والاحتكاك بهم والعيش معهم، وكما تأثرت بالمتصوفة ابن عربي كان لها جانب آخر من الاهتمام بالشاعر الصوفي ابن الفارض، ومن بين الأشعار التي أثارت شغفها، قصيدة من ديوانه قصيدة الخمرية التي تشف خمر الحبّ الإلهي الذي يفعل المعجزات.

فتقول المستشرقة في قراءتها للأبيات شرحا وتأثرا "تلك الأبيات التي تعب عن شعور المحبّ أثناء ذكره للحبيب تعتبر من أحب أسطر الشعر العربي الكلاسيكي، وهي قمة الرومانسية، رغم أنها تعجّ بالتطريز البلاغي"، فكلمة التطريز تدل دلالة قاطعة على شعرية القصيدة وفنيتها وأقامت هذا التشبيه لإظهار جمال السبك وحسن النظم.

ومن المؤكد أن تراث كل أمه هو عمودها المحوري الذي تقوم عليه وذخيرتها الثابتة ومدخرها المعبر عما كانت عليه من تقدم في كل مجالات الحضارة والثقافة وأول سمة يتصف بها التراث لغته التي كتبت بها والتي أثبتت وجودها عبر تاريخ

الأمم " والأمم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها وفرق بين أمة لها موروث وأمة لا موروث لها " (1)

من هنا أصبحت الأمم الكبرى تحرص على التمسك بتراتها والعناية به كما تحرص على الاعتزاز بكل ما يحمله هذا التراث من عطاءات روحية ودينية وعقلية وفنية ومدنية بل إن عامة الأمم الكبرى تضيف نوعاً من القداسة على تراثها كمعنى إجمالي على الرغم من كون الكثير منه لم يعد يصلح موضوعاً لفائدة علمية إبداعية في الوجود الإنساني" (2) .

وتعد الحياة الروحية في الإسلام جزء لا يتجزأ من المنظومة الإسلامية ذلك أن مصدرها القرآن والسنة، وعليه يقول ابن خلدون: " بأن التصوف علم من علوم الشريعة الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخر في الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفرد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" (3).

" لقد كان نشوء التصوف رداً علي انحراف ميزان المجتمع الإسلامي بشدة نحو المادة ، ونحو الدنيا وزينتها ، علي عكس ما أمر به النبي صلي الله عليه وسلم ، وقد نجح في إيقاف السيل الجارف ، أو الحد من قوته في كثير من الأحيان . ووقف كثير من المتصوفة في وجه الظلم ، والطغيان ، وقالوا كلمة الحق غير هيأبين ولا وجلين" (4) " وتمسكوا بالعقيدة الإسلامية الأصيلة القائمة علي تنزيه الله عن الحوادث والممكنات " (5) .

1- عبدالمجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص 9 .

2- جمال سلطان : الغارة على التراث الإسلامي ، مكتبة السنة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1990 ص 6 .

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ط 1 ، ج 2 ، دار البلخي ، دمشق ، 2004 ، ص 225 .

2- عبدالرازق الكيلاني : الشيخ عبدالقادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط 1، دار القلم ، بيروت، 1994، ص157،

وكذلك إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج2، دار المعارف، 1976، ص 134

5- نهاد خياطة : دراسة في التجربة الصوفية، ط1، دار المعرفة ومطبعة الصباح، دمشق، 1994، ص18.

كما يُعد التصوف الإسلامي ثروة روحية عظيمة، ليس فقط على مستوى الحضارة الإسلامية، بل على مستوى الحضارات العالمية جمعاء، لذلك فهو مؤهل لكي يكون مجالاً مفتوحاً للتلاقح بين الحضارات والأديان العالمية، ومن هنا يُعد ظاهرةً دينيةً تتسم بالعالمية، فلا تتقيد بحدود الزمان والمكان، والأجناس واللغات والأديان، أو الدوائر الحضارية " فلا وطن لها ولا تاريخ ميلاد"⁽⁶⁾.

إن التصوف الإسلامي من بين العلوم الإسلامية التي أثرت وبشكل كبير في المفكرين والمستشرقين الأوروبيين لما فيه من قيم روحية مثلى، والصوفية من أهم الفرق الإسلامية التي أثارت اهتمام أغلب الدراسات الاستشراقية نظراً للدور الفكري الذي يؤديه في مسيرة الإسلام، فتأثروا بشخصيات صوفية معروفة في التصوف الإسلامي وتناولهم بالدرس والترجمة.

نموذج أنا ماري شميل مشرف ومشرق لهذا الاستشراق، قراءتها مختلفة، وتأثرها غير عادي وإنصافها للإسلام والمسلمين منقطع النظير، ولهذا أثارت اهتمامنا واعتبرناها مثلاً مشرفاً يعبر بصدق عن قيم الإسلام وأخلاقه الفاضلة، متخذةً منهجاً كثيراً ما تحدثت عنه فنقول: " إن طريقي ليست هي طريقة التصريحات والبيانات، ولا هي طريقة لإثارة الزوابع، إنني أؤمن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدعوب على مر الزمن"⁽⁷⁾.

وجهت شميل عنايتها بالبحث في الدراسات الإسلامية والحضارة والتصوف كانت تنظر إلى الدين الإسلامي علي أنه دينٌ عدل وسماحة وأخلاق، وشغفت شميل بالإسلام ووجدت جاذبيةً في التصوف فأثرت الطريقة للتربية الروحية، ووجدت في التصوف الإسلامي الحق لخالص الروح من أنقال الجسد، فتعهدت نفسها به فنقول: " إن التصوف هو أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها، إنه إدراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة حكمة أو نور أو عشق أو عدم"⁽⁸⁾.

6 - James, William. The Varieties of Religious Experience, New York: Doubleday & Company, Inc, 1978, p.370

7- أنا ماري شميل : الجميل والمقدس دراسات غير تقليدية في الحضارة الإسلامية ، ط1 ، تحقيق عقيل يوسف عيدان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الكويت ، 2008 ، ص 21 .

8- أنا ماري شميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ط1، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، 2006، ص 7، من مقدمة الكتاب .

وترى أنه يعود الفضل إلى الصوفية الخالصة من الشوائب في أسلمة بلدان عدة مثل الهند، وأجزاء من أفريقيا، حيث دعوا إلى المبادئ البسيطة للإسلام بنموذج الحب، من دون التطرق إلى مسائل معقدةٍ ودينية وفقهية، فللمذهب الصوفي أثرٌ كبيرٌ في ثقافة العالم الإسلامي، فالصوفية عمقت الرسالة الأساسية للإسلام بالدفء والمشاعر الإنسانية، وفتحت القلوب للجمال الإلهي.

ألفت **شميل** في التصوف الإسلامي العديد من المؤلفات مشيدة بالثقافة الإسلامية ومعجبة بكل ما يمت إليه بصلة وكان كبير في اهتمامها بالصوفية الشرقية المتزعة في بلاد الهند وباكستان⁹، فألفت في ذلك كتابها حول جلال الدين الرومي⁽¹⁰⁾.

ويعتبر مصنف روجي أنثى من أهم الكتب التي صاغت فيه رؤيتها للثقافة والتصوف الإسلامي وخصسته للتصوف النسائي وأفاضت فيه الحديث عن مكانة المرأة في الإسلام من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مروراً بأهم الأسماء التي برزت في ميدان التصوف والكتاب هو أحد إنتاجها الفكري التي تبلورت خلال رحلاتها في شبه القارة الهندية وتستعرض الكاتبة في الفصل الأول العلاقة بين النبي والنساء واتخذت من زوجات النبي مثلاً على شكل المرأة ودورها في فجر الإسلام كما ناقشت تلك المسألة الشائكة عن تعدد زوجات النبي ورؤية المسيحية في العصور الوسطى لذلك السلوك، لتنتقل بعد ذلك الكاتبة في الفصول التي تلي الكتاب إلى الغوص في تاريخ المتصوفات والعبادات وتحدثت بالأخص في الفصل الثاني عن دور رابعة العدوية المحوري في التحليق بالتصوف بأفاق وفضاءات نورانية رحبة⁽¹¹⁾.

بدأت حديثها عن التصوف في مستهل كتابها الأبعاد الصوفية في الإسلام؛ لأن موضوع التصوف ليس من السهل أن يكتب فيه، وهذا راجع إلى صعوبة فهم مصطلحاته الرمزية بالدرجة الأولى، والتي تعتبر مفتاح هذا العلم، ولا يفهمها إلا النخبة المتخصصة فيه، فتقول: "بأن ظاهرة التصوف متسعة المجال، شاسعة الأبعاد

⁹ - فائزة بنت عمور: التصوف الأنثوي في الثقافة الإسلامية في مرآة الآخر، أنا ماري شميل من خلال كتابها روجي أنثى وعنادل تحت الثلج، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، العدد(7)، ديسمبر 2018، ص 165.

10- أنا ماري شميل : بالشمس المنتصرة في آثار جلال الدين الرومي، ترجمة عيسى علي العاكوب، وزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي، طهران ، بدون تاريخ ، ص 19.

11- أنا ماري شميل : روجي أنثى الأنوثة في الإسلام ، ط 1 ، ترجمة لميس فايد ، الكتب خان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2016 ، ص 11 .

بحيث لم يستطع أحد أن يحيطوا بها وصفاً، فكل واحد له وصفه"⁽¹²⁾، وتقول أيضاً: "وسيرة متصوف واحد وأعماله قد تشغل حياة باحث بأكملها"⁽¹³⁾.

كان مؤلفها الأضخم الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف في أول الأمر عبارة عن محاضرات ألقته أنا ماري شيميل عن التصوف الإسلامي⁽¹⁴⁾، فهو مرجع مهم يعالج مهمة التصوف الإسلامي إذ وضعت فيه الخطوط الرئيسية للمنظور التاريخي لحركة التصوف في المشرق وناقشت جميع النظريات الغربية في تفسيره يكون منهجا موضوعيا في وصف الإطار العام لتاريخ التصوف باعتمادها على مؤلفات كبار الصوفية ويحتوي الكتاب على كبار شعراء الصوفي وكذلك أهم رواد التصوف وأهم الطرق الصوفية في المشرق والمغرب وتأتي أهمية الكتاب في عمق ثقافة المؤلفة وسعة اطلاعها على تاريخ المسلمين وفكرهم ومعتقداتهم⁽¹⁵⁾.

وتعرف شيميل التصوف على أنه أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعاً، وبمعنى أشمل يمكن تعريف التصوف بأنه إدراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة حكمة أو نور أو عشق أو عدم، فهذه المسميات تظل مجرد معالم في الطريق لأن الغاية عند المتصوفة حقيقة لا يمكن وصفها والتعبير عنها، فلا الفلسفة ولا العقل قادران على أن يحيطا بمفاهيمها بل بصيرة القلب هي التي تجليها، والتصوف يمكن أن يعرف بأنه حب المطلق، فبذلك الحب يتميز التصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الأخرى⁽¹⁶⁾.

وأكدت شيميل أن الكتابة عن الصوفية أو الروحانيات في الإسلام تكاد تكون مستحيلة، فمن أول خطوة يخطوها سالك هذا الطريق يرى أمامه تلالاً ممتدة وهضاباً وعرة لا يزداد بالسير فيها إلا استصعاباً للوصول إلى أي غاية، فيقف عند الشعراء

12- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ط1 ، ترجمة محمد إسماعيل السيد ، رضا حامد قطب ، منشورات الجمل ، بغداد ، 2006 ، ص 16 .

13- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 5 .

14- أحمد أبو زيد : الإشتراق النسائي قصة حضارة في عيون غربية منصفة ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، مطبعة الإيسيسكو ، المغرب ، 2017 ، ص 17 .

15- زهير يوسف الحيدري : جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي دراسة في أهم آراء ومؤلفات المستشرقين في التصوف الإسلامي، مجلة أوروكل للأبحاث الإنسانية، العدد3، جامعه القادسية، ٢٠١٠، ص 57

16- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مصدر سابق، ص 7 .

الصوفية من الفرس، متلكنًا في واحة حدائق أزهارهم، أو يحاول تسلق القمم الثلجية لجبال التأمّلات الفلسفية النظرية، أو يحاول أن يأخذ برسن راحلته إلى صحراء لا متناهية من الكتابات النظرية عن طبيعة التصوف، وعن ذات الله وعن جوهر العالم، أو ربما يكتفي بإلقاء نظرة على الطبيعة والاستمتاع بجمال القمم العالية، تغسلها أشعة الشمس في صباح باكر، أما أقصى الجبل حيث موطن طائر السيمورغ الصوفي فلن يصل إليه على كل حال، إلا بعض من النخبة ثم يدركون أنهم لم يصلوا إلا لما يجول في خاطرهم⁽¹⁷⁾.

وبعد رحلة شيقة في كل محتواها وبمنظرة موضوعية خالصة⁽¹⁸⁾ تؤكد شمیل: " أن التصوف يوصف بأنه أكبر طيار روحي يسري في الأديان جميعاً، وبمعنى أشمل يمكن تعريف التصوف بأنه إدراك الحقيقة المطلقة سواء سميت هذه الحقيقة حكمة، أو نور، أو عشق، أو عدم"⁽¹⁹⁾.

نعم إن " للتصوف الإسلامي آفاقه الذوقية الرحبية، وعالمه العامر بالدلالات الروحية النورانية الشفافة، وطريق التصوف طريق طويل، لا يقطع مراحلها إلا الصادقون في طريق الله، أولئك الذين تخلصوا من المشاغل الحسية التي تلهي المرء حياناً، وتلتهمه أحياناً"⁽²⁰⁾، والطريق الصوفي طويل وشاق على المرید ويتطلب طاعة مستمرة وجهادا داخليا وتوجه المرید الأول مهم لمسيرة الرحلة فمن يبدأ بالله فسوف يصل إليه⁽²¹⁾.

وتؤكد أنا ماري شمیل علي روحانية التصوف الإسلامي ومنبعه الصافي علي أن: "من بدأ بحثه في الصوفية بتتبع بعض خطواتها الأساسية من الناحية التاريخية والكشف عن بعض ظواهرها لا يأمل في الوصول إلى نتيجة مرضية تماما والأسهل من ذلك كله التركيز على بعض الجوانب وإغفال ما عداها فما كتب في ذلك من مصادر بلغات شرقية وغربية مطبوعة ومخطوطه لا يمكن حصره وما زالت الدراسات

17- أنا ماري شمیل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مصدر سابق، ص 31 .

18- يمكن الرجوع إلي دراسة حسن ابن محمد سفر القيمة وعنوانها : الموضوعية في الاستشراق المستشرق الألمانية أنا ماري شمیل (1920 - 2003) نموذجاً ، المجلد (2) العدد (5) ، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ، 2005 .

19- أنا ماري شمیل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 7 .

20- خالد زيادة : لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2015 ، ص 23 .

21- أنا ماري شمیل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 212 .

تتدفق في سرعة متوالية يستحيل معها التمكن من عرض الموضوع عرضاً شاملاً " (22)

رأت أنا ماري شيميل أن الصوفية منبع الدين وأن الدين الإسلامي هو دين الإنسانية في كتابها القيم الإسلام دين الإنسانية (23)، كما أكدت " أن الصوفية يدركون صعوبات الطريق الروحي ولذلك كانوا يتركون للشيخ سلطة مطلقة وكما يقال في الأثر الشيطان شيخ من لا شيخ له فوساوس الشيطان كثيراً وربما يشعر المرید في بعض المواقف بالسمو أو المواساة بينما لا يكون ذلك إلا وسواسات النفس أو الشيطان وعلى الشيخ هنا أن يصحح مساره ويعيده إلى الطريق (24).

أما عن وجهات النظر حول التصوف فقد اختلفت بين الدراسين والباحثين ما بين مؤيد ومعارض خاصة فيما يخص الاستشراق، نشرت في السنوات الأخيرة كتب عديدة عن موضوع التصوف والروحانيات في التراث الإسلامي يختلف كل منها عن الآخر في المنظور الذي يعالج منه القضية فظاهرة ما يسمى بالتصوف ظاهرة متسعة المجال شاسعة الأبعاد بحيث لم يستطع أحد أن يصل إلى أن يحيط بها وصفا ومثل من أراد أن يصف التصوف كمثل العمى الذين تحسسوا فيلا فوصفوه حسبما وقعت عليه أيديهم من أجزاء جسمه (25).

إن من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن خبرة الصوفية التي هي زوق وشوق وعرفان فلا تخضع للتحليلات بما تحتويه من رمزية فائقة التعقيد والملاحم (26)، فنقول أنا ماري شيميل : ويستطيع المرء أن يدنو من ظاهرة التصوف بإنتاج عدة سبل ويبدو من المستحيل تحليل الخبرة الصوفية بذاتها لأن الكلمات لا يمكن أن تسبر أغوار هذه

-
- 22- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 5 .
- 23- أنا ماري شيميل : الإسلام دين الإنسانية ، تقديم محمود حمدي زقزوق ، ترجمه وتعليق صلاح عبد العزيز محجوب ، مراجعه محمود فهمي حجازي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 2000
- 24- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 118 .
- 25- منها علي سبيل المثال لا الحصر : محمود حمدي زقزوق : الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف ، 1997، السيد محمد الشاهد : الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجله الاجتهاد ، 1994، أحمد أبو زيد : الاستشراق النسائي قصة حضارة في عيون غربية منصفة ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، المغرب ، 2017، صادق العبادي : أنا ماري شيميل السفير الثقافي بين الشرق والغرب ، مجلة الفيصل ، العدد 322 ، يونيو دار الفيصل الثقافية ، 2003 ، ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، ط 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 .
- 26- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 7 .

الخبرة أبدا حتى أدق التحليلات النفسية لها محدوديتها بشأنها فالألفاظ تظل على الشاطئ كما يقول الصوفيون ومن الأسهل فهم الصوفية من خلال تحليل بنيتها⁽²⁷⁾. ولأن التصوف مبني على مبدأ الزوق فإن المناهج المختلفة للتربية الروحانية والرياضات المتبعة في الطرق الصوفية والدرجات النفسية للتقوي وتكوين الطرق ودورها الإجتماعي والحضاري تفتح مجالا مهما ومثمرا لأبحاث متواصلة⁽²⁸⁾. تلك الأفكار البسيطة توجد في كل أنواع التصوف وقد حاول متصوفون من شتى الأديان شرح خبرتهم الصوفية في ثلاث أنماط أولها البحث المتواصل عن الله ورمز اليه بصورة طريق يجب على السائح أن يسلكه صعودا كما عبر عنه بصور بلاغية عديدة كالتدرج والارتقاء أو معراج الروح، وثانيها ما عبر عنه بتربية النفس بالابتلاءات وتنقيتها بأنواع الآلام كما عبر عنه بصورة من فن تنقية الذهب وغيرهم من فنون العلوم الطبيعية المشابهة، أن أكبر أحلام البشرية منذ القدم بأن يحولوا معدنا غير نفيس ذهبيا وها هو ما يطبق الآن على النفس، وثالثها إشارات اقتبست من الحب الإنساني عبر بها عن لوعة المحب وشوقه إلى التوحد، وكثيرا ما تأتي أشعار المتصوفين معبرة عن تأرجح وتخبط فتخلط أحيانا بين الحب الإلهي والحب الإنساني خلطا يدعوه للحيرة⁽²⁹⁾.

ونظراً لما تركته الصوفية من أثر على العالم الإسلامي وغير الإسلامي الطرق الصوفية دوراً مهماً في نشر الإسلام، ويعود الفضل إلى الصوفية في أسلمة مناطق عديدة مثل الهند وأجزاء من أفريقيا، حيث دعوا هناك إلى مبادئ الإسلام، وإلى حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، دون التطرق إلى مسائل دينية معقدة ، أو الخوض في مشاكل فقهية بالغة الدقة ، مثلما فعل الفقهاء⁽³⁰⁾.

وتتابع أنا ماري شيميل قولها : " أن الصوفية قد عمقت الرسالة الأساسية للإسلام وهي عبادة الله الواحد الأحد وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وملأت الفرائض الشرعية بالدفء والمشاعر الإنسانية وفتحت قلوب المؤمنين للجمال الإلهي"⁽³¹⁾.

27- المصدر السابق ، ص 11 .

28- المصدر السابق ، ص 12 .

29- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق، ص 8 - 9 .

30- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، ط 1 ، ترجمة ثابت عيد ، تقديم محمد عماره ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1998 ، ص 87 .

31- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص 94 .

إن الاهتمام بجمالية الإسلام لدى أنا ماري شيميل كان شديد الاتساق مع اهتمامها بالتصوف، هناك من راق له فهم ذلك ولأول وهلة على أنه شيء غامض، مليء بالألغاز ولا يمت للمنطق بأية صلة وعلى أنه مضاد للعقل والحداثة والعقلانية والتطور إلى آخره، إلا أن هذا يعود بالأساس إلى الصورة المشوهة التي يقدمها خصوم التصوف من العلمانيين والأورثوذوكس عن التصوف والتي لا علاقة بتاتاً لها بخصائصه الحقيقية.

فالتصوف لو أخذناه من وجهة نظر تاريخية فلا هو مضاد للعقلانية ولا هو مُقَيَّد لها وإنما هو توسيع وإعمال للعقل والمنطق، لم يصبح مثيراً للاستغراب إلا بمجيء العلمانية، فالكثير مما كان يصنف تحت مفهوم ومصطلح التصوف، أصبح اليوم بإمكاننا إدخاله في خانة العلوم الإنسانية وإحاقه بمجال الأدب والفلسفة وعلم النفس أو الأخلاقيات.

وكما هو الشأن بالنسبة للعلوم الطبيعية فإن عقلانية التصوف تعتمد نماذج وفرضيات، وكما هو الشأن بالنسبة للعلوم الطبيعية فإنها تبني - بالمعنى التام لمفهوم البنائية - حقيقة، وذلك بطريقة قابلة للجدال والمناقشة والحوار والخلاف والبرهان، أي قابلة لكل أنماط الاستدلال.

الطريق لدى الصوفية في الأديان المختلفة هو صورة لتلك المراحل والخطوات نحو التوجه إلى الله فالتقسيم المسيحي لمراحل التصوف إلى مرحلة التجرد والمشاهدة والكشف يتطابق نوعاً ما مع التقسيم الإسلامي للطريق الصوفي إلى شريعة وطريقة وحقيقه والطريقة أي الدرب الذي يسلكه الصوفي تعرف بأنها الطريق الذي يتفرع منه الشريعة لأن الشارع الواسع يسمى شرعاً والفرع منه يسمى طريقاً وهذا الاشتقاق يبين أن الصوفية يعتبرون أن طريقة التربية الصوفية هو ضرب من طريق الشريعة الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه ومثلما أنه لا يوجد طريق فرعي بدون طريق رئيسي يتفرع منه فإنه لا يمكن أن تكون التجربة الصوفية صادقة إن لم تتبع قواعد الشريعة إتباعاً خالصاً وطريق الصوفي ضيق وصعب المسير وسوف ينتقل بالسالك في مقامات مختلفة حتى يصل به بعد وقت طويل إلى الهدف أي إلى التوحيد التام بمعنى معرفة وحدانية الله معرفة حقيقية.

أولاً : المجاهدة والنفس الإنسانية في فكر آنا ماري شيميل .

إذا عقد المسلم العزم علي أن يسلك طرق المجاهدة، وأن ينتسب إلي الصوفية، فعليه أن يدعَ حياته الأولي، فيقطع صلته بماضيه، وما كان فيه من إخوان سوء، وشهوات نفس، وزينة حياة⁽³²⁾، " فالنفس تألف بعض العادات وترتاح لها، حتى يُمسي صاحبها ذليلاً لها، لا يملك الإفافة من سيطرة ما ألفتها النفس، فتتواتر عليه الآفات بهبوط الهمة، ومن هنا كان باب المجاهدة لا يفتح، إلا بقطع النفس عما لازمته من عادات، وخروج السالك بنفسه من معهود المأكَل والمشرب، والملبس، والوقوف معها عندما دعا إليه الشرع ، وما أمر به الله تعالي ، فيكون المتصرف هو الخالق عز وجل ، لا النفس الأمانة بالسوء، وأنداك يتحرر السالك الصادق من عبادة العادة، وتصير لديه العبادة عادة"⁽³³⁾، لذا بدأ التصوف في صورة بسيطة منذ الصدر الأول للإسلام⁽³⁴⁾.

إن جهاد النفس موضوع محبب إلي الصوفية ولم يملوا أبداً من تحذير تلامذتهم من مكائد النفس وفتنتها التي لا تكمن في الشهوات الجسدية فقط بل تتخفى أيضا في ثياب الرياء والورع المزيف التي لا بد لمريد أن يراقبه ويتخلص منها⁽³⁵⁾.

" إنَّ من أعظم الطرق الموصلة إلى صلاح النفس وتزكيتها ، طريق محاسبة النفس على كل ما تحث وتأمُر به صاحبها ، فإنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ، فأنت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه ، وإن كان وكيلاً غير مُحاسبٍ لنفسه ، فأنت تحاسبه وتبالغ في محاسبته ، فعلى هذا ينبغي أن يكون عمك كله الله تعالي، ولا ترى أنك تفعل فعلاً والله تعالي لا يحاسبك عليه"⁽³⁶⁾، ولما كانت تزكية النفس بهذه الأهمية وجب على كل مسلم أن ينصح لنفسه، وأن يجاهد نفسه في حياته على تحقيق هذه الغاية الحميدة، ليفلح في دنياه وأخراه ، وينعم بالسعادة الحقيقية⁽³⁷⁾.

32- أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر والعمل ، ط 2 ، دار المعارف ، 1983 ، ص 257 .

33- يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، مرجع سابق ، ص 67 .

34- إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية ، ج 1 ، دار المعارف ، ط 3 ، القاهرة ، 1983 ، ص 61 .

35- آنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 130 .

36- أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين ، ط 1 ، دار الرسالة ، داغستان ، 2015 ، ص 11 .

37- عبدالرازق ابن عبد المحسن : عشر قواعد في تزكية النفس ، ط 1 ، مكتب ادقار ، 2018 ، ص 7 .

إن للنفس حُجُباً نورانية وحُجُباً ظُلمانية، وسبيل المرید للوصول إلى تَخْلُص النفس من الحجب إنما يكون بتقديم مجاهدتها ومخالفتها، وأصل المجاهدة وملاكها فَطْمُ النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات، "فالنَّفْس عند الصوفية شرٌّ محض، وهي محل الأخلاق المذمومة، وموضع نظر الخلق"⁽³⁸⁾.

إنَّ تركية النفس تتيسر بطريق العقل ، فكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية إلا بنظر طبيبٍ حاذقٍ ذو تجربة في المعالجة ، كذلك تركية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيٍّ أو وليٍّ ذو تجربة بهذا الشأن ، ولا رجاء لإصلاحها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِكِ ، ولا تَصْلُحُ الرعية إلا إذا صَلَحَ المَلِكُ⁽³⁹⁾، فإذا كان التصوف يقوم على مجاهدة النفس، كان من الضروري معرفة علل النفس وكيفية تطهيرها بتخليتها من الأخلاق الذميمة وتصفيتها، فمعرفة الله في نظر الصوفية تبتدئ بمعرفة النفس، والعلم بنوازعها وعيوبها ومحاسنها، فكان تأكيد الصوفية على أن الجهاد الحقيقي هو جهاد النفس، ولهذا سجدت تصوراً صوفياً للنفس باعتبارها تلك اللطيفة النورانية، والجوهر المستقل بذاته، حيث رأى الصوفية في الجسد حجاباً يفصلها عن عالمها الروحي وخالفها فسعوا إلى تطهيرها من عللها، وتخليصها من تحكم شهواتها ؛ حتى ترتقي إلى ربه راضية مرضية.

للنفس الإنسانية عند الصوفية صفتان مانعتان لها من الخير انهماكاً في الشهوات، وامتناعاً عن الطاعات، وإذا ثارت النفس عند غضبها فما من منزلة أحسن عاقبة من غضبٍ يكسر سلطانه بخلقٍ حسن، وتُخمد نيرانه برفق، فإذا استخلت النفس شراب الرعونة فمن الواجب كسر ذلك عليها، وإذلالها بعقوبة تذكرها حقارة قدرها وخساسة أصلها، وقذارة فعلها، "ولأن النفس الإنسانية خداعة شديدة المكر، فهناك عدة سبل لمجاهدتها وتصفيتها وحملها إلى مراتب الأمن"⁽⁴⁰⁾.

" إن النفوس بما فيها من شهوة، وبما فطرت عليه من غفلة، وبما عرضت له من شؤون الحياة، وبما سلط عليها من قرناء السوء، من شياطين الإنس والجن، لا تزال في مقارفة الذنب، فيجب إصلاحها بإزالة النقص الذي يحدثه الذنب فيها، وإبعاد

38- عبدالكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1963 ، ص 56 .

39- أحمد بن محمد عبدالله : رياض أخلاق الصالحين، ط 1، دار الرسالة، داغستان، محج قلعة، 2015، ص8، وكذلك عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، 1973، ص34 وما بعدها .

40- يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، مرجع سابق ، ص 67 .

ضرره عنها، وهذا لا يكون إلا بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى⁽⁴¹⁾، ولما كانت النفس الإنسانية علي هذا النحو، فقد وجب علي صاحبها العمل علي مجاهدتها ؛ لتتخلص من صفاتها المذمومة، وتترقي عن مرتبة الأمر بالسوء.

محاسبة النفس هي واحدة من الأساليب العملية في تزكية النفس، والتي منها كذ : العلم النافع والعمل الصالح وصحبة الصالحين والزواج، والتفكر في المخلوقات، وتذكر الموت، وأهوال القيامة، والمطالعة في نصوص الترغيب والترهيب⁽⁴²⁾، والمراد بمحاسبة النفس النظر والتأمل فيما عمل المسلم من أعمال، وما قدم من خير أو شر، مع النظر في النية والقصد، وحساب الريح والخسائر.

فقد انفردت به نفوس أرادها الله، فأحبها وأحبتة، واستسلمت في جهاد النفس؛ لتقهرها علي جادته عاملاً، وحالاً، ومقاماً، وذوقاً، فلانت طباعهم، وخفضوا الجناح للعامة والخاصة، وتخطوا العقبة الكئود، التي تحطمت علي صخرتها جهود أكثر الناس، ألا وهي جعل الإرادة لله⁽⁴³⁾.

ومن المنظور الصوفي تعتبر النفس جوهر مستقل ووحدة لا تعدد فيها، وإنما تتعدد أحوالها فهي نفس أمارة، ولوامة، ومطمئنة راضية مرضية، متحقة بالسمو والكمال، فهي بحكم طبيعتها الروحانية تظل تتطلع إلى السمو والكمال والعودة إلى عالمها العلوي ؛ لأنها ضيف على البدن بعد هبوطها من عالمها، ولذلك فهي بانجذابها إلى الارتقاء، تعكس حنينها إلى الخلاص من قيد الجسد أو العالم المادي، والعودة إلى ما كانت عليه في صفائها وطهرها، حين كانت على اتصال مباشر بخالقها، وأقرت بوحدانية الله تعالى، فغاية توحيد الموحّد للواحد أن يبقى بأوصاف الحق، كما لم يزل على معنى قوله صرت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه يسمع به ويبصر به ويأخذ به ويعقل به، ولا سبيل لهذه النفس إلا بالتحرر من أسر شواغل المادة ، وسيطرة الشهوات ، وما ارتقاء الصوفي في حياته الروحية ، إلا تَرَقُّ للنفس ، بفعل تصفيتها من كبوتها وعيوبها ، التي تشوه صفاءها في نظر الصوفية ، فكان لابد من مجاهدتها وتطهيرها، ورحلة المجاهدة الصوفية للنفس ، هي رحلة معاناة كما يصفها البسطامي

41- أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين ، ط 1 ، دار الرسالة ، داغستان ، 2015 ، ص 6 .

42- عبدالله بن علي بصفر : ومضات في تزكية النفس ، ط 2 ، دار نور المكتبات ، 2005 ، ص 22 .

43- عبدالقادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقْتِباس في عصر النابلسي ، ط 1 ، دار الجيل ،

بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 7 .

، حيث بدأها بالنظر في مرآة قلبه ؛ لمعرفة نقائصها ، ثم بالعمل على قطع علائق الانشغال بشهوات الدنيا ، التي تعيق القلب عن التفرد لله ، وتحجبه بحجاب الغفلة⁽⁴⁴⁾ يقول البسطامي : " كنت لاثنتي عشرة سنة في حداد مع نفسي ، وخمس سنين كنت مرآة قلبي، فإذا في وسطي زناز ظاهر فعلت على قطعه، وعندما نظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى⁽⁴⁵⁾، فهنا يصور البسطامي انسياق الناس وراء غرائزهم، ورغباتهم الحسية، واستسلامهم لسيطرتها بالموت؛ لأنهم محجوبون عن المعاني الروحية، فكان هذا الحجاب من المادة والشهوات موتاً لأرواحهم، وقطع هذا القيد من شواغل الشهوات يتطلب تضحية وقوة إرادة، بكبح النفس عن أهوائها، ورغباتها وإيثار ما لله تعالى، وبالتالي فالنفس الإنسانية بالنظر إلى طبيعتها وبحسب الرؤية الصوفية المستمدة من القرآن الكريم ليست على درجة واحدة، بل تتنوع نفوس البشر على درجات متفاوتة بحسب قرب أصحابها من الله تعالى وبعدهم عنه وتنقسم إلى : النفس الأمانة، النفس اللوامة، النفس مطمئنة، أما عن النفس مطمئنة فهي النفس النقية النقية⁽⁴⁶⁾ التي تصل إلى المراتب العليا من الطهارة، وتحظى بمقامات الترقى ومذاق الوصول، بعد أن تطهرت من عللها، وشواغلها الشهوانية، فتحققت بصفائها وحظيت بتجلي أنوار الإيمان على صفحاتها، فوصلت إلى مقام الطمأنينة، فهي نفس لا يلحقها خوف، ولا جزع ؛ لأنها في مقام الاطمئنان، وفي منازل الرضا، راضية مرضية عند الحق وعند الخلق،" تتخلق بالأخلاق الحميدة وتترفع عن الأخلاق الذميمة فتتور قلبه بالإيمان، وتواظب على فعل الطاعات"⁽⁴⁷⁾، ومن أهمها فالصدق خلق عالي المعاني، يحتاج له المسلم في حياته، ويجب الالتزام به وهو مطابقة القول للحقيقة، كما ينبغي مطابقته للشيء الذي هو أخفي في الضمير"⁽⁴⁸⁾، يقول الراغب الأصفهاني : " الصدق مطابقة القول للضمير والمخبر عنه"⁽⁴⁹⁾ .

44- الجنيد : رسائل الجنيد ، تحقيق أحمد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 ، ص 260 .

45- البسطامي : المجموعة الصوفية الكاملة ، تحقيق قاسم عباس، دار المدي ، دمشق ، 2004 ، ص 66 .

46- أحمد عمر هاشم : النفس في القرآن ، دار الفيسل للتأليف والترجمة والنشر ، 1996 ، ص 14 .

47- نزار العاني : الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 ، ص 28 .

48- محمد أحمد الأطرش : حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، 2002 ، ص 164 .

49- الراغب الأصفهاني : مفردات الفاظ القرآن ، دار العلم للنشر والتوزيع ، دمشق ، 1992 ، ص 478 .

" لقد نجح التصوف في الماضي في كبح جماح الأهواء والشهوات وفي تركية النفوس والأخلاق، فلنترك اسمه إذا كنا نتأذى منه، ولنأخذُ منهجه الذي وضعه؛ لتربية النفوس، وتركية الأخلاق، بعد أن نصفيه مما يعتريه من شوائب ومخالفاتٍ، ولنستفيد منه في إعادة تهذيب مجتمعا، وتربية أبنائنا"⁽⁵⁰⁾.

وإن كان هناك من يري أن التصوفَ يميل إلى عزل الحياة عن الدين، فعندما تُذكر كلمة تصوف في الأوساط الثقافية، يُنظر إليها بشيء من الريبة والشك، وربما ربطها البعض بالتخلف والشعوذة، وربما أخرجها البعض عن دائرة الإسلام، وربما اعتبرها البعض موروثاً قديماً لا قيمة له، ولا حاجة لنا إليه.

إلا أن الباحثة تري أن التصوف يمثل روح الإسلام وسياجه القوي أمام جميع التحديات، إن هذه النظرات قد تناست العديد من الأمور، من أهمها أنها تناست إسهام التصوف في كافة المجالات الثقافية، التي قدمها المتصوفة المسلمون على مدار العصور الإسلامية، كما تناست دور التصوف في نشر الإسلام في شتى بقاع العالم، وتناست أيضاً دور التصوف المهم من الناحيتين الأخلاقية والروحية، كما أن النزعة الصوفية بصفة عامة تسمح بإتاحة الفرصة للحوار والعيش مع الآخر، كما أنها ترفض أي نوع من التشدد الذي يؤدي إلى التعصب.

وهذا هو الإخلاص كما أنه من الواجبات الأساسية للمريد تجريد نفسه من التفكير المهتم بالذات في عبادته لله فصلاة بلا إخلاص لا نفع فيها وأي خاطر إيماني لا يحفه الصدق فلا معنى له بل يتبدي منه الخطر كما أن المديح والثناء لا يعنيان شيئاً لمن أخلص نفسه لله ورغم كون أعماله كلها صالحة إلا أنه لا بد أن ينسى حسناته مجتهداً أن يكون عمله خالصاً لله لدرجة أنه ينسى فكرة الثواب على الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة⁽⁵¹⁾.

50- عبدالرازق الكيلاني : الشيخ عبدالقادر الجيلاني الأمام الزاهد القدوة، ط1، دار القلم، بيروت، 1994، ص156.

51- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 124 .

ثانيا : الشيخ والمريد عند أنا ماري شيميل

يرى الصوفيون أن أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي اتخاذ شيخاً يدلّه على الطريق الصوفي، ويبسر له سبل المعرفة، كما ورد في رسائل ابن عربي الذي بالغ في وجوب اتخاذ الشيخ لدرجة فقدان القلب لدى من لا يتخذ شيخاً من المريدين، وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخاً في الطريق الصوفي، بل لابد أن يمر بمراحل الطريق من أولها إلى نهايتها، أو على الأقل قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك المريدين، وإدخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة (52).

تقول أنا ماري شيميل : " ويحتاج المريد إلى مرشد يرشده في سلوك الطريق الروحي ينتقل به بين المقامات المختلفة ويدلّه على الطريق إلى الغاية ويعتبر حديث الرسول الدين النصيحة محبباً لدى الصوفية لأنهم يرون أن المراقبة المستمرة للمريد شرط ضروري للتقدم الفعلي وتطور بمرور الزمن نموذج شيخ الطريقة الذي يراقب المريد في كل حركاته وسكناته حتى أن الصوفية المتأخرين شبهوا الشيخ أو البير بالفارسية بالنبي لأن هناك أثر يقول الشيخ في صحبته كالنبي في قومه (53).

إن الرفق بالمريدين والتواضع لهم من أهم الآداب التي أكد عليها أعلام الفكر الصوفي في رسائلهم ومؤلفاتهم كالإمام الجنيد، الذي أشار إلى أهمية اقتران العلم بالتواضع حتى يكون مؤنساً للمريدين لا موحشاً لهم، فقال موصياً الشيخ بمريده: "إذا لقيت الفقير فألقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه، فقلت يا أبا القاسم كيف يكون فقير يوحشه العلم، فقال: نعم الفقير إذا كان صادقاً في فقره، فطرح عليه العلم ذاب كما يذوب الرصاص في النار (54).

في أول مراحل الطريق يجب على المبتدئ إذا أن يتدرب على الورع الناتج عن التقوى وعن الزهد وهو يعني لدى الصوفية الزهد في الحلال وترك الدنيا وترك كل ما يلهي القلب عن الله حتى التفكير في الورع نفسه ويشمل ذلك التخلي عن الأمل في نعيم الجنة وعن الخوف من عذاب النار . وقد كان من السهل على الزاهد أن يتخلى عن الشبهات في الشريعة الإسلامية إلا أن الميل إلى الزهد في أشياء يعتبرها جموع

52- عبدالرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ص317.

53- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مصدر سابق، ص 116 .

54- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين، ط2، ج1، دار القيم، الدمام، 1994، ص87.

المؤمنين من باب الحلال كان أحيانا يأخذ أشكالا مبالغاً فيها فالنساء الزاهدات لا يردن أن يغزلن في نور مصباح الجاره والصوفي الذي تأكل شاته من عشب جاره لا يشرب لبنها أبدا لأنها بعد هذا السطو لم تعد حلال، كما أن طعام الطبقة الحاكمة أو أي شيء يأتي من عندهم مشكوك فيه ومن المعروف أن العلماء الأتقياء في صدر الإسلام كانوا دائما يرفضون تولي المناصب وبالمثل كانت علاقات الصوفية بالحكام يغلب عليها البرود بل والتوتر أيضا لأن الصوفيين لم يكونوا مهتمين بعمل علاقات يمكن أن تدنس سرائرهم ولهذا كان الدرويش في الحكايات ناقدا للمجتمع فهو يضع يده على عسرات المجتمع ويفضح حالات الفساد⁽⁵⁵⁾.

ولا تكفي فراسة الشيخ الصوفي وجلو بصيرته في الكشف عن صلاحية المرید لاتباع الطريق الصوفي أو عدمه، بل لا بد أن يكشف على هذه الصلاحية عن طريق اختبار يختبر فيه المرید وقابليته للتعلم واستعداده لسلوك الطريق الصوفي، هذا ما أشار إلى أهميته الامام ابن عربي، وعده واجباً من واجبات الشيخ فقال: "يجب على الشيخ أن لا يقبل مریداً حتى يختبره"⁽⁵⁶⁾.

تقول أنا ماري شيميل : يجب على الشيخ أن يعلم المناهج والرياضيات الروحية أن يختبر المرید أولاً ليرى إذا ما كان عازماً وقادراً على تحمل الصعوبات التي تنتظره على الطريق فأحيانا يتركه لعدة أيام منتظراً ببابه وغالباً ما يعامله في البداية بقسوة وفي العادة كان يطلب من المرید أن يعمل لمدة ثلاث سنوات قبل أن يقبل رسمياً في صحبة الشيخ في السنه الأولى يعمل في خدمة الخلق وفي السنة يجتهد في عبادة الحق وفي الثالثة يراقب قلبه ويرعاه .

وقد كانت هناك طرق عديدة لإخضاع المرید فإن أمر أن يتسول لكي يعامله الناس معاملة سيئة فالهدف من ذلك هو التهذيب وليس العائد المادي الذي يحصل عليه المتسول من تسوله⁽⁵⁷⁾، ومن هنا كانت الأخلاق عند الصوفية تهذيب للنفس من أجل تحقيق السمو إلى مراتب الكمال الخلقى عن طريق المجاهدة، فالتخلق بالصفات

55- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 127 .

56- الأخضر قويدري : الفكر التربوي الصوفي قراءة في التراث التربوي عند أعلام التصوف الإسلامي، دار نينوى، دمشق، 2010 ، ص 379.

57- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 116 .

الحميدة يستوجب تنقية النفس من شوائبها وتجريدها من رذائلها، مما يعني أن الأخلاق بالمعنى الصوفي هي ضبط النفس وتوجيهها بإرادة ذاتية⁽⁵⁸⁾.

وفي الوقت نفسه تقريباً تطورت الطرق والجماعات الصوفية الأولى فبدلاً من جماعات العصور المبكرة النخبوية الصغيرة اجتمعت الآن طوائف أخرى متعددة من المريدين حول شيخ مبارك ليرجعوا إليه في شؤونهم الدينية والدينية وبقيت صفة المريدين في الدير قريباً من الشيخ بيد أن لفظ الدير هنا مضلل لأن التصوف وإن كان يعرف الفقر والطاعة إلا أنه لم يعرف حياة العزوبة لأن ذلك يتعارض مع المثل الأعلى لحياة الأسرة الذي قدمه محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁹⁾.

وتحت قيادة شيخ جدير بالثقة يبقى أمل المرید قائماً في أن يواصل رقيه على الطريقة والشيخ يعلمه ما عليه فعله في كل حال روحي وربما يكلفه بالخلوة في أوقات محدده إذا رأى ضرورة لذلك وقد كان من المعروف أن أساليب التهذيب ليست واحدة تجاه الكل لذلك كان لابد للمربي الصوفي أن يكون على قدر كبير من العلم بالنفوس ليتمكن من معرفة مواهب تلامذته ومواطن صلاحهم فيعلمهم طبقاً لذلك فكان ممكناً أن يعفي المرید مثلاً من خلوة الأربعين لفترة من الوقت بسبب عدم كفاية القدرة الروحية أو لأن الكشف من الممكن أن يقضي عليه وهذا لأن خلوة المرید لأربعين يوماً كانت تؤدي إلى إحداث تغيير عميق في إدراكه وقد كان منطري التصوف يعلمون أن خلوة المرید الضعيف من الممكن أن تكون مصدر للخطر بدلاً من أن تكون وسيلة للسمو فإذا انغمس في نفسه بدلاً من التوجه إلى الله أو هيجته المعاناه وغلبته فمن الأحسن لو بقي في صحبة أناس آخرين لأن التأثير المتبادل والقودة الحسنة أنفع لتربية روحه⁽⁶⁰⁾.

ومن خلال المرید وضع الصوفية أنفسهم في المكانة الأعلى بين الناس، ونسبوا لأنفسهم صفات قلّ نظيرها بين البشر، فهم الأغنى بالرغم من أنهم لا يملكون شيئاً، وهم الأقوى بالرغم من أنهم كانوا أضعف من أن يدافعوا عن أنفسهم، وكانوا يستبشرون خيراً بأنهم هم الفئة المسلمة الوحيدة التي حازت على رضا الله، فقد رضي

58- آمال محمد عامر : البعد الأخلاقي وفلسفه المجاهدة الصوفية المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، المجلد الثالث، يوليو، 2014، ص 93 .

59- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص ص 86 - 87 .

60- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 120 .

الله عنهم وأحبّهم، وأخلصوا هم من جانبهم لله، وعبدوه عبادة خالصة، وتتكروا للدنيا وما فيها من شهوات، واعتزلوا الدنيا بكل ما فيها من مغريات، ولم يكن لهم فيها أي مطلب، وما صدر من أقوال عن شيوخ الصوفيّة يبيّن لنا أنهم ما سلكوا هذا الطريق إلا عن قناعة، ولم يقولوا كلمة لم يكونوا غير مقتنعين بها، وهذا ما دفع الغزالي ليصفهم بصفات قلّ أن تجدها بين الناس⁽⁶¹⁾.

وعمل واحد بإخلاص تام لله ممكن أن يؤدي إلى السمو الروحي حتى لو بدا ظاهرياً بأنه عبثي أو أحمق وتعد القصة المروية عن المريد قليل الفطنة مثلاً على ذلك فقد أوهمه بعد الأشرار أنه سوف يصل للكشف لو ترك لهم نفسه يعلقونه من أرجله في السقف ويظل يكرر عبارات ليس لها معنى كانوا قد ذكروها له وقد عمل بهذه النصيحة فوجد في الصباح التالي قد وصل⁽⁶²⁾.

ولذلك عني الصوفية بمصطلح الطمأنينة فكان عندهم : حال رفيع لا يكون إلا لعبد رجح عقله، وقوي إيمانه، وصفا ذكره، وثبتت حقيقته⁽⁶³⁾، ولا يحظى بهذه المنزلة إلا من تطهرت نفسه؛ حتى تحقق بطمأنينة الوصول في منازل القرب من الحق، وحظي بأنوار اليقين ؛ حتى يكون في معية الحق خُلُقاً وسلوكاً، وقلباً مستغرقاً في الحق، مشغولاً به عن ما عداه، فيتجاوز ذاته الجزئية المتناهية إلى اللامحدود، فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الحق، وصار بحراً من نسمات القُرب، أجرى في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت ، والصفات وتحقق بالتخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى⁽⁶⁴⁾، فالطمأنينة هنا ثمرة للصبر والمجاهدة، والنجاح في ترويض النفس، وقهر ميولها للشهوات، مما يحرر الصوفي من القلق، والمخاوف بسبب الانسياق وراء أعراض الدنيا والانشغال بها، فيثمر إعراضه عن مباحجها ، وبريقها رضاً في النفس، وفرحاً بطمأنينة قلبه التي توصله إلى شهود الله تعالى في حركاته وسكناته .

وتطورت الطرق الصوفية في القرون التالية مشبعة بمظاهرها المتباينة الحاجات النفسية لجميع طبقات الشعب ووجدوا فنانونا المدن والفلاحون وعشاق الموسيقى أو

61- أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ، ط1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1988 ، ص 62 .

62- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 124 .

63- الطوسي : اللمع ، تحقيق عبد الحليم محمود ، ج 4 ، دار الكتب الحديثّة ، القاهرة ، 1960 ، ص 206 .

64- السهروردي : عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983 ، ص 278 .

طالبوا التأمل الروحاني في التصوف وطنهم الروحاني وراحتهم النفسية⁽⁶⁵⁾، ولم يعد هدف الصوفيين الآن مثل أوائل الصوفية هو الفناء في الله ولكن الوصول إلى الحقيقة المحمدية وكان بعض شيوخ الصوفية المتأخرين قد اعتبر نفسه إنساناً كاملاً فوق كل اعتبار⁽⁶⁶⁾.

وترجع الصوفية أصولها إلى نبي الإسلام وتكتسب تفسيرها من كلمة الله المنزلة في القرآن أن الله أنزل إرادته في كلمات القرآن الكريم أو بالأحرى أن الله نفسه تجلى فيها حتى أصبح القرآن هو الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي يمكن للإنسان أن يعرفه بها وفي ظاهرة مبكرة من نوعها بدأ القرآن يؤخذ على أنه كلمة الله وأنه غير مخلوق وأن قدمه من قدمه وكان القرآن لكل مسلم وللصوفي خاصة قاموسه الجامع بلا منازع ومرجع كل علومه ومفتاح تأملاته في الكون⁽⁶⁷⁾.

وفي مجال علم النفس عمقت الصوفية دراسة أدق خلجات النفسي بطريقة مدهشة جدية بالإعجاب ويظهر إمام الشيخ أو المرشد لخبايا النفس الإنسانية بصورة خاصة من خلال تلقينه المريدين نصوص الذكر الصحيحة حيث تحتل أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون مكانة خاصة وما زالت الخلوة الأربعينية القاسية الموصى بها منذ العصور المبكرة تمارس حتى اليوم⁽⁶⁸⁾.

ثالثاً : المحبة الصوفية عند أنا ماري شيميل

أن المحبة أكمل مقامات العارفين وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين ويقول المكي: " فالمحبة تكون هبة من الله تعالى لأصفيائه من الأولياء، وهي أكمل أنواع المقامات التي يحققها المؤمن وكل مؤمن بالله فهو محب لله، ولكن محبته على قدر إيمانه، وكشف مشاهدته، وتجلي المحبوب له على وصف أوصافه"⁽⁶⁹⁾، ويقول القشيري أن الحب هو تفضيل الله لجماعة معينة من الناس هم عباد الله المخلصين بقوله " الحب حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد"⁽⁷⁰⁾،

65- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص 87 .

66- المصدر السابق، ص 89 .

67- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 32 .

68- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص 85 .

69- أبو طالب المكي ، قوت القلوب ، ج 1 ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1961 ، ص 50 .

70- عبدالكريم بن هوازن القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تحقيق معروف زريق وعلي عبدالحميد، دار الخير ، دمشق وبيروت ، ط 1 ، 1988 ، ص 318 .

وعن المحبة تقول شيميل: "قد كان موضوع المحبة معين لا ينضب جعل الصوفية يبتكرون مراحل متفاوتة وأقوال متعددة لتصنيفها إلا أن التعريفات التي قبلت التعريف الحب والمحبة والود والمودة ليست واضحة وقد كان التقسيم الطبيعي لمراحل المحبة سائداً في العصر الأول"⁽⁷¹⁾.

كان الحب بالنسبة للصوفية هو الطريق الشرعي الوحيد لترويض الغرائز الوضيعة فقواعد الزهد نفسها ذات طبيعة سلبية تامة ومهما كان مدى ضرورتها فلا بد أن تطبق من خلال الحب ولن يتبدل شيطان النفس إلا بإتباع هذا المنهج وبعدها سيصبح مثل جبريل وستختفي صفاته الشيطانية وإذا وصل المرء إلى حال التوحيد بالحب فحين إذ ينظر بعين العلم اللدني وسيفهم الطرق الموصلة إلى الله لأن قبول الإرادة الإلهية الممزوج بالحب هو فقط الذي يمكن أن يحل لغز الإرادة والقدر في ترابط أسمى⁽⁷²⁾، ويقول الطوسي أن أهل المحبة في ثلاثة أحوال: الحال الأول هو محبة العامة، وهذا ناتج من إحسان الله إليهم وعطفه عليهم، والحال الثاني وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته، وهذا النوع من الحب يصل إليه الصادقون والمتحققون، أما النوع الثالث من الحب فهو محبة الصديقين والعارفين، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بتقديم حب الله تعالى بلا علة، فكذلك أحبوه بلا علة⁽⁷³⁾.

إن الحال الثالث من تصنيف المحبين عند القشيري ينطبق تماماً على الصوفية لأن الصوفي إذا أحب الله، فإنه لا يحبه لغرض بنفسه، فهو قد هجر الدنيا بما فيها وتحول إلى حال الزهد، ولم يبق له في هذه الدنيا ما يحبها، فكان حب الله هو البديل الأسمى له، ومن كان سعيه لله فقد أمن على نفسه في الدنيا والآخرة.

فالتصوف يمكن أن يعرف بأنه حب المطلق فبذلك الحب يتميز بالتصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الأخرى وحب الإله يجعل المرید يتحمل كل الآلام والمصائب التي يبئليه الله بها ليختبر حبه ويطهره بل ويجعله يتلذذ بها وذلك الحب يمكن قلب المحب

71- أنا ماري شيميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مصدر سابق، ص 151.

72- أنا ماري شيميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مصدر سابق، ص 162.

73- الطوسي: ألّمع في تاريخ التصوف الإسلامي، ضبطه وصحّحه كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 2001، ص 54.

من الاتصال بالحضرة الإلهية كالصقر يحمل صيده بعيداً ويجعله يغيب عن حاضره⁽⁷⁴⁾.

من خلال الحب المطلق يكون الحال والمقام لذلك كانت الأحوال والمقامات من المصطلحات الصوفية التي أفاض فيها المتخصصون في الدراسات الصوفية⁽⁷⁵⁾، أما المقام فهو حالة دائمة يستطيع المرء بالجهد أن يبلغ بها درجة معينة فالمقام ينتمي إلى الأعمال، أما الأحوال فهي نعمة معطاه لا يمكن اكتسابها أو ردها وكلمة حال تستخدم في لغات العالم الإسلامي الحديثة بمعنى النشوة والواجب والمقامات هي المراحل التي يصل إليها السالك على ضرب الزهد والأخلاق فيتوقع منه أداء كل الفروض الخاصة بالمقام أداء تاماً فلا يفعل في مقام الخوف كما لو كان في مقام الندم ولا يجوز له أن يترك مقاما دون أن يؤدي كل مقتضياته وتتغير الأحوال التي تأتيه طبقاً للمقامات التي يعيشها شخص فيه مقام الفقر مختلف عن القبض عند من بلغ مقام الشوق⁽⁷⁶⁾.

تعتبر الأحوال والمقامات عند الصوفية طريق موصل إلى معرفة الله عز وجل، وقد وصفها ابن خلدون في مقدمته بالغاية المطلوبة للسعادة، يقول: "ولا يزال المرید يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة ويتفق الصوفية مع ابن خلدون في رأيه بأن الترقى في المقامات ينتهي بصاحبه إلى توحيد الله ومعرفته، وطالما وصل صاحب المقام إلى هذا فإنه يكون قد تحقق له غاية السعادة والأمن والسلام مع نفسه ومع غيره .

وكما اتفق رجال الصوفية على أن الأحوال والمقامات طريق موصل إلى الله تعالى ومعرفته، نجدهم قد اختلفوا في عدد هذه الأحوال والمقامات، كما اختلفوا في ترتيبها، وفي حقيقة الأمر نجد أن كل سالك يصف لنا على حدة منازل سيره وحال سلوكه الذي سلكه في الوصول إلى الله تعالى، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فيما

74- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 8 .

75- يوسف محمد طه زيدان : عبد الكريم الجيلي فيلسوف التصوف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988 ، يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991

76- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص ص 114 - 115 .

بينهم فإنهم يقررون "أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من الوجود نفسه، والمقامات تحصل ببذل المجهود"

"إن المحبة عند الصوفية طريق للوصول إلى الله تعالى، وقد وردت في الكتاب العزيز آيات كثيرة عن محبة الله لعباده وحب العبد لربه، وكان لا بد للصوفية من التوقف أمام المحبة وتعميق أغوارها، فوصلوا إلى منتهي المنتهي فيها"⁽⁷⁷⁾، والمحبة الحقيقية إنما تتحقق بتوجيه الإنسان بكيانه كله إلى المحبوب سبحانه والبقاء معه، وإدراكه له وانسلاخه من جميع الرغبات الأخرى ومن جميع الطلبات"⁽⁷⁸⁾، بل لقد كان الصوفية "يجمعون على أن المعرفة والحب الإلهي شيء واحد وحقيقة واحدة، يدل على ذلك إطلاقهم اسم العارف على الصوفي الفاني في محبة الله"⁽⁷⁹⁾.

وقد مال المتصوفون المسلمون إلى استعمال كلمة الصفاء عندما كانوا يذكرون شيئاً عن التصوف وعن السمات المثالية للصوفية من صافاه الحب فهو صاف ومن صافاه الحبيب هو صوفي ويعنى هذا الكلام أن من ذاب تماماً في حب الإله ولم يفكر فيما سواه فقد بلغ درجة الصوفي الحقيقي وليس من الغريب أن يحاول الصوفية أن يجعلوا آدم أول الصوفية لأنه ظل أربعين يوماً في عزلة مثل المريض في الطريق الصوفي قبل أن ينفخ الله فيه الروح ثم وضع الله سراج العقل في فؤاده ونور الحكمة على لسانه فعاد من عزلته التي اصطنعه الله فيها يشع نور التصوف منه ويعد هبوطه في الهند ثلاثمائة سنة مبدياً ندمه حتى اصطفاه الله فأصبح صافياً متحولاً بذلك إلى صوفي حقاً⁽⁸⁰⁾.

فالمحب لا يترك باب حبيبه أبداً حتى وإن طرد منه، ولم تكن رابعة هي العبادة الوحيدة من نسوة القرن الثامن فقد كان هناك كثير من النساء اللاتي إنخلطن في السلك الصوفي فكيف ينتحبن للحبيب السماوي الذي وإن غاب عن عيونهن لا يغادر قلوبهن وكانت رابعة عندهم مثلاً في التفاني في الحب لما كان يرى في مشاعرها

77- يوسف زيدان : شعراء الصوفية المجهولون ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 ، ص 7 .

78- محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ط 3 ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006 ، ص 228 .

79- أبو العلي غيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ط 1 ، دار المعارف ، مصر ، 1963 ، ص 234 .

80- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 22 .

العارمه لولاها لكانت احتكرتها النساء فيما أن المحبين لم يعد لأحد منهم في وحدانية الله وجود منفصل فكذا لم يعد هناك فرق في ذلك بين رجل وامرأة⁽⁸¹⁾.

" لقد أتى الحب الصوفي ، حب رابعة وريثاً شرعياً لكل تعبيرات وضع الحب، ولكنه إذا كان وريثاً لذلك كله، فإنه إلي ذلك احتفظ بخصوصيته المتدفقة وهجاً وتألقاً فشكّل من ثم خطأ جديداً مفتوحاً علي طريق التأسيس لمنظومة الصوفية الإسلامية العربية"⁽⁸²⁾، بل إنها كانت تسعى لإقناع نفسها بأنها قد حازت علي أسمي ما كان تسعى إليه ، وهو أن تهتم بحب الله ، فقط لأنها تحبه ، وليس طمعاً فيما وعد الله به عباده الصالحين ، ولكن هذا لا يعني أن رابعة لم تكن من عباده الصالحين بل كانت كذلك . فقد اتفقت الطرق ولكن الهدف مختلف .

" فالمحب الذي اخترق أجواء نفسه بأجنحة المحبة ووصل إلي ربه في بُعد العشق والشوق لدي أدائه لحقوق سلطان قلبه ومسؤولياته نحوه ، بأعضائه الظاهرة ومشاعره الباطنة ، فإن قلبه مُنشغل به دون انقطاع وهويته محترقة بسبحات وجه الحق وفي حيرة وإعجاب وعلي شفثيه كأس العشق . عندما تتفرج أمامه أستار الغيب الواحد تلو الآخر ينتشي بمطالعة المعاني من وراء هذه الأستار، وهو في ذوقه المشاهدة التي لا تطال"⁽⁸³⁾.

ولا توجد حدود للمحبة بل لها آثار وشواهد تتصرف عليها وتتلخص في عدة نقاط هامة منها الميل نحو المحبوب والإيثار، وهذه بداية بحار المحبة التي لا قرار لها ، يعقبها لحظة من أخطر لحظات المحب بأنه ينسي نفسه فتذوب صفاته في صفات محبوبه فلا يدرك شيئاً إلا ما أراد ورغب ويسعي المحب بكل جهوده إلي موافقة محبوبه في رغباته ؛ لإرضائه فيكون كل كثير عنده قليل حينما يمنحه له وكل قليل لدي المحبوب كثير في نظر المحب"⁽⁸⁴⁾.

81- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 50 .

82- طيب تيزيني : التصوف العربي الإسلامي فرادة في الحضور الوجودي والاستحقاق القيمي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011 ، ص ص 163 - 164 .

83- محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ط 3 ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006 ، ص ص 228 - 229 .

84- عبدالحكيم عبدالغني قاسم : المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1989، ص 105 .

" فالصوفي في حال استغراقه في حب الله يدرك نوعاً من المعرفة ومن اللذة لا عهد لغيره بها فهو في حال الحب يعرف محبوبه، وهو في حال المعرفة يحب معروفة، أي أن المعرفة والمحبوب اسمان لشيء واحد، والمعرفة والحب وجهان لحقيقة واحدة، ولم يبعد الصوفي كثيراً عندما شبهوا هذا النوع من المعرفة بالمعرفة الناشئة عن الأذواق والتجارب الحسية المباشرة فإن الإنسان يدرك معنى الحلاوة في الشيء الحلو ومعنى المرارة في الشيء المر إدراكاً مباشراً ولا يستطيع وصف الحلاوة والمرارة ولا تعليلهما ولا نقل معنيهما إلي من حرم حاسة الذوق قالوا كذلك الحال في التجربة الصوفية إلا أن المعرفة الحاصلة فيها ليست راجعة إلي الحس، أو العقل، وإنما هي نور يقذف به الله في قلب من أحبه، أو هي إشراق الجانب الإلهي في قلب الصوفي" (85).

الإخلاص عند الصوفية إنما يكون بحفظ الأسرار التي بين العبد والمعبود، وقيامه بأعماله على أساس عرضها على البصيرة الناقدة، وبتعبير آخر : هو قيام العبد بواجباته ومسؤولياته ؛ لأن الله أمر بها ، وابتغاء رضاه لدى أدائه لها ، وتوجهه لأطرافه الأخروية ، لذا عُدَّ من أهم صفات صفوة الصفوة الصادقين فالوفاء الصادق أولى الأوصاف التي يتحلى بها تعالم الأنبياء عليهم السلام . فهم منذ الولادة مُنحوا الإخلاص الذي يحاول غيرهم الحصول عليه طوال حياتهم، والقرآن الكريم يذكّرنا بذلك لدى ذكره إخلاص نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً ﴾ سورة مريم، الآية 51، فبالإخلاص مع الإحسان تكون درجات القرب من الله تعالى عند الصوفية، يقول سعيد حوي : " فالمحسنون من أحسنوا مع الله في العبادة ، ومع خلق الله في المعاملة " (86).

" الرضا منبع مهم للاطمئنان سواء في الدنيا ، أم في الآخرة . ولا يعني هذا أن الذين بلغوا هذه المرتبة قد تخلصوا كلياً من الآلام ، إلا أن أبطال الرضا يتقونها رحمة ، فنقلب السموم التي يتجرعونها ترياقاً ، والمثاق التي يتعرضون لها تبادلاً عشق بين محبوبين ، وموادّة رابحة بينهما . للعبد فيما يكره درجتان ، درجة الرضا ، ودرجة الصبر ، فالرضا فضل مندوب إليه ، والصبر واجب على المؤمن حتماً ،

85- أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ط1، دار المعارف، مصر، 1963، ص235، وكذلك

أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

86- سعيد حوي : جند الله ثقافة وأخلاقاً، ط3 ، مطبعة دار التراث العربي، القاهرة ، 1980، ص 254 .

والفرق بين الرضا والصبر ، أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود الألم ، وتمني زوال ذلك ، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع ، والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضاء ، وترك زوال الألم وان وجد الإحساس بالألم ، لكن الرضا يخفف بما يياشر القلب من روح اليقين والمعرفة ، وإذا قوي الرضا يزيل الإحساس بالألم كلياً⁽⁸⁷⁾.

الصدق أقوم طريق موصول للحق سبحانه، والصادقون هم المرشحون المحظوظون لهذا الوصال، الصدق روح العمل وليه، وأصوب محك ؛ لاستقامة الفكر، وبالصدق يتميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وسكان الجنان من أهل النيران، الصدق صفة نبوية لمن ليسوا بأنبياء، وبفضل هذه الصفة يبلغ الخدمة مرتبة المشاركة مع السادة في النعم نفسها " والمسلم لا ينظر إلي الصدق كخُلُق فاضل يجب التخلق به لا غير، بل إنه يذهب إلي أبعد من ذلك، يذهب إلي أن الصدق من مميزات إيمانه، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله تعالى به، وأثني علي المتقين به، كما أمر به رسوله صلي الله عليه وسلم وحث عليه ودعا إليه⁽⁸⁸⁾.

تختلف شيميل في معالجاتها للإسلام عامة وللتصوف خاصة عن الغالبية العظمى من المستشرقين لماذا لأن شيميل يربطها بالإسلام صلة حب أما الغالبية العظمى من المستشرقين فيربطهم بالإسلام علاقة عنصرية استعمارية صليبية نقطة انطلاق شيميل في تعاملها مع الإسلام هي الحب والحب نور يكشف المحاسن والايجابيات وقد يتغاضى عن المساوى والسلبيات أما نقطة انطلاق غالبية المستشرقين في دراساتهم الإسلامية فهي العنصرية في المقام الأول والعنصرية لا تبحث إلا عن العيوب والمساوى ولا ترى بل لا تريد أن ترى أي محاسن أو ايجابيات⁽⁸⁹⁾.

وبصفة عامة كان على المرید أن يرى في الحجرة المظلمة التي يقضي فيها الخلوة قبرا ويرى في الخرقة كفنا وكان بعض الصوفية يكررون خلوة الأربعة مرارا من أجل التفكير وكانوا يمتدحوا عند موتهم بأنهم قضوا خلوة الأربعة ثلاثين أو أربعة مرارة

87- أحمد فريد : تزكية النفوس وترتيبها بما يقرره علماء السلف ، ابن رجب الحنبلي ، ابن القيم ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق ماجد بن أبي الليل ، ط 1 ، دار القلم بيروت لبنان ، 1985 ، ص 106 .

88- أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم ، ط 8 ، دار فينوس للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1976 ، ص 145 .

89- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص 78 .

وأحياناً كانوا يبنون خانا للخلوة وهو مكان يبني في زاوية مسجد أو ربما تحت الأرض وكان هذا المكان إما يكون في مركز الجماعة أو في مكان قريب تحفه البركة⁽⁹⁰⁾. وقواعد السلوك التي يتعلمها المرء في الأوساط الصوفية طبعت هي أيضاً الأخلاق الإسلامية المهذبة والسلوك الصحيح في مناطق واسعة من المملكة الإسلامية وكما أن الإسلام لا يمكن النظر إليه باعتباره كتلة واحدة أو وحدة متجانسة فكذلك الحال بالنسبة للصوفية⁽⁹¹⁾.

والتوكل في مضمونه يعني تحقيق التوحيد لغان التوكل على أي مخلوق أو الخوف منه شرك خفي وهذا الجانب من التوكل هو إحدى الحقائق الأساسية في علم نفس الصوفية فطالما أن الصوفي متجه بشعوره كله وبفكره لله في إيمان تام من غير تفكير في أي شيء ثانوي فلن يستطيع أن يؤذيه أي إنسان أو حيوان وبهذا يؤدي التوكل إلى الرضا الباطني التام والحكايات العديدة عن الصوفية الذين خرجوا إلى الصحراء على التوكل دون طعام ولا بلا خوف من أسد أو قاطع طريق تعكس هذه الروح في شكل رومانسي إلا أن أحد مشايخ التوكل الأوائل وهو أبو طروب النخشي افترسته الأسود في الصحراء⁽⁹²⁾، ومن التوكل يستتبع بالضرورة مجاهدات بدنية ورياضات نفسية وروحية معينة وزهد في ماديات الحياة الدنيا، فالتصوف طريق عملي يسلكه السالك ليترقى من مقام إلي مقام⁽⁹³⁾.

مع مرور الوقت أصبح التوكل اعتقاداً باطنياً أكثر منه ممارسة ظاهرية لأنه لو عاش كل فرد فيه طبقاً للتعليم المثالية لدى الصوفية الأوائل لتهدمت جميع دعائم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإمبراطورية الإسلامية إلا أن التوكل وهو المقام الأساسي على الطريق الصوفي والقوة الروحية باعتبارها الثقة التي لا تهتز في حكمه الله عاملاً مهماً في العقيدة الإسلامية⁽⁹⁴⁾.

يتطابق مقاما الخوف والرجاء مع المشاعر المذكورة في حالتي القبض والبسط والبسط بمعنى التوسع والامتداد يعني اتساع الإحساس بالحماس والسرور التام وشعور

90- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 120 .

91- أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، مصدر سابق ، ص 94 .

92- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 136 .

93- إبراهيم تركي : التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الكتب القانونية، 2009 ، ص ص 39-45.

94- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 138 .

بسعادة قد يتطور إلى وعي بالكون والشعور بالتواجد في حياة كل المخلوقات وإلى الوجود الذي تغنى به السكاري من شعراء إيران وتركيا كثيراً كانت تلك هي الحالة التي همهتم أن يبدعوا دواوين كبيرة في العبارات البلاغية عن المحبوب الإلهي وهي أبيات تحاول وصف العزة النورانية الخلابة وأخبار الآخرين بحال السعادة التامة التي يبدو فيها العالم بأكمله نورا متغيرا شفافاً ومليناً بألوان متألثة بارعة الحسن⁽⁹⁵⁾.

والشكر له علاقة بالرضا⁽⁹⁶⁾، والرضا ليس معناه التحمل والمعاناة مع الصبر على كل التقلبات الحياة بل هو السعادة في الفقر وعند البلاء قال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضاء وكاد الهجويري أن يدرك الحقيقة في قوله إن الرضا هو نتيجة المحبة لأن المحب يرضى بكل ما يفعله المحبوب وذلك بالتأكيد هو موقف القلب المحب إلا أن الصوفية ليسوا متفقين على كون الرضا من المقامات أو من الأحوال أما الثنائي فإنه يعرف في أحد أبياته بأنه المفرح وهو دواء يريد سرور القلب ويزيل التوتر العصبي أي نوع من المهدئات⁽⁹⁷⁾.

يعتبر الصبر جزءاً مهماً على الطريق لأنه إذا وصل المرء إلى مقام الشكر يكون قد فاز بنعمة الله ومما لا شك فيه أن مقام الشكر أعلى من مقام الصبر والمشكلة التي واجهها صوفية العصر الأول كانت تتمثل في الخلاف في الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل وكان يقال أن الصبر أفضل من الشكر لأن الصبر موجه ضد الجسد أما الشكر فهو متوافق معه أو أن التناقض بين الإثنين يزول إذا وصل الإنسان لمقام الرضا الذي يوصله كما أن الشكر مقسم أيضاً إلى عدة مراحل هي شكر على العطاء وشكر على المنع وشكر على القدرة على الشكر لأنه لو استحق الإنسان العادل مدح على ائذائه الشكر عند تلقي منحة فلا بد أن يكون الصوفي شاكرًا إذا لم يتحقق رجاءه أو تحطم أمله⁽⁹⁸⁾.

ويدرك الصوفية أن القدرة على الشكر منحة إلهية وليست فعلاً بشرياً ولهذا يجب على الإنسان أن يشكر على نعمة الشكر والصوف الذي يسلك هذا السلوك إنما يستحضر أمام عينيه صورة الرسول الذي وصل إلى مقام الهمة واستغرق في بحر

95- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 147 .
96- عبدالكريم الخطيب التصوف والمتصوفة ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، 1980 ، ص 54 .
97- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 145 .
98- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 143 .

الشكر الجارف وإرادة أن يعبر عن شكره بلسان لا لغة له ففנית همته وقال لا أحصي ثناء عليك يعتبر هذا الحديث من دعائم مقام الشكر الصوفي والشكر معناه العميق هو إدراك كل أفعال الله المليئة بالحكمة، ومقام التوبة والتوبة معناها الإقلاع عن الذنب وعن كل ما يتعلق بالدنيا (99).

وقد كان الرومي مثل الجامي يحب تلك العبارة وقد نشرتها الطرق الصوفية بالأخص مثل الطريقة القادرية والطريقة النقشندية شرقاً حتى ماليزيا (100)، وقد اعتبرت الدنيا مصيده خطيرة في الطريق إلى الله وقيلت في ذم صفات هذا المكان المقفر كلمات شديدة وقاسية خاصة في عصر الصوفية الأوائل، ومن هنا كانت العديد من الدراسات حول الفقر المطلق عند الصوفية (101).

كان الصوفي يرى الدنس في كل شيء دنيوي وليس هناك أي شيء طاهر بما فيه الكفاية لكي يهتم بأمره فهو يفضل أن يقضي ليليه وأيامه في عبادة الله بدلاً من أن يدنس نفسه بممارسة أي عمل وحتى لو اشتغل فلماذا يحاول أن يكتسب أكثر مما يحتاجه ليومي فإن الاحتفاظ بالمال والمتاع كان ينظر إليه على أنه ذنب عظيم هل كان يعلم المؤمن إذا ما كان سيعيش بالصباح التالي أو حتى للساعة التالية وقد كان طول الأمل يعد من أحقر الأعمال في التصوف.

ويمثل باب الخوف والرجاء في كتاب الغزالي إحياء علوم الدين تلك المشاعر كما يعطينا صورة حية على الآراء غير معروفة لبعض الصوفية الأوائل فحتى الصوفية الذين لا يمكن احتسابهم من ممثلي التوكل كانوا يتصدقون في المساء بكل ما معهم من مال أو يتصدقون في يوم الجمعة بكل ما يملكون وكانوا أيضاً يرفضون أي معالجة طبية (102).

وطريق المجاهدات طريق شاق، فالسالك كلما جاهد نفسه وكسر حدتها وقتلها بسيف المخالفة، أحياءها الله مرة أخرى، فتعود لتنازعه، وتجنح لأمانيتها، فيعود هو إلى المجاهدة مرة بعد مرة (103)، ويظل السالك في هذه المعاناة الطويلة التي وصفها

99- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، المصدر السابق ، ص 144 .

100- المصدر السابق، ص 141 .

101- محمد كمال جعفر : التصوف طريقاً وتجربته ومذهبا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1980، وكذلك عمرو

فروخ : التصوف في الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401، ص128.

102- أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، مصدر سابق ، ص 137 .

103- يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، ط1، دار الجليل، بيروت، 1991، ص66.

النبى صلي الله عليه وسلم : بالجهاد الأكبر،" فحين خاطب الله تعالى أولياءه ودعاهم إلى حضرته ، نبههم إلى أيسر الطرق وأقربها ، وهو طريق معاداة النفس ومخالفتها ، فقد قال الله تعالى لبعض أوليائه : عادِ نفسك ، فليس لي من المملكة منازعَ غيرها ؛ أي لأنها تطلب ما هو له تعالى : كالكبرياء ، والعظمة ، وانقياد الناس وطاعتهم ، وهذه الصفات لا تجوز إلا للخالق العظيم سبحانه»⁽¹⁰⁴⁾ .

الخاتمة

التصوف أهم الفرق الإسلامية التي أثارت اهتمام أغلب الدراسات الاستشراقية، فأخذت أقلامهم بالكتابة عنه وعن مسيرة تاريخه، وأهم رموزه رغم من شكك في البدايات الأولى لظهوره، وشغلت الأشعار الصوفية خاصة الفارسية منها مكانة هامة في الدراسة عند أغلب المستشرقين وبالأخص المستشرق الألمانية " أنا ماري شميل" التي وُصفت بإنصافها للإسلام وتأثيرها الكبير بالتصوف الإسلامي والشعر الصوفي منه، ودرسته من منظور علمي وموضوعي بحث، وأُعجبت بالنزعة الروحانية في الإسلام والشعراء المتصوفة تلك التي يفتقدها كثير من الغربيين في البيئات الغربية، رغم انتشار دور العبادة فيها بسبب سيطرة النزعة المادية على مسار الحياة العامة في الغربيين، فوجدوا في الصوفية ملاذاً لم يجدوه في حياتهم العامة وملأت فراغاً كانوا يشعرون به.

كشفت المستشرفة أنا ماري شميل على القيم الروحية الموجودة في الفكر الصوفي الإسلامي وعرفت المجتمعات الأوروبية بالشعر الصوفي الإسلامي والشعراء الصوفيين، هذا الشعر المفعم بالقيم النبيلة لأنها كما سبق الذكر عاشرت المجتمعات الإسلامية واحتكت بهم واكتشفت فيهم حسن المشعر في التعايش مع الأجنبي رغم اختلاف دينه ومعتقده، فهو يحظى بالطمأنينة ويختص بالمحبة والرحمة، هذه القيم التي اكتشفتها المستشرفة لأنها قرأت وعاشت المسلمين في آن واحد.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم تركي : التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الكتب القانونية، 2009.
2. إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ط3 ، القاهرة، دار المعارف، 1983.
3. أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ط1، دار المعارف، مصر، 1963
4. أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم ، ط 8 ، دار فينوس للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1976 .
5. أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ، ط1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1988 .
6. أبو طالب المكيّ ، قوت القلوب ، ج1 ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1961 .
7. أحمد أبو زيد : الاستشراق النسائي قصه حضارة في عيون غريبة منصفة ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، المغرب ، 2017.
8. أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين ، ط1، دار الرسالة ، داغستان ، 2015 .
9. أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
10. أحمد عمر هاشم : النفس في القرآن ، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر، 1996 .
11. أحمد فريد : تزكية النفوس وتربيتها بما يقرره علماء السلف، ابن رجب الحنبلي ، ابن القيم ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق ماجد بن أبي الليل ، ط 1 ، دار القلم بيروت لبنان ، 1985
12. أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر والعمل ، ط2، دار المعارف ، 1983 .
13. الأخضر قويدري : الفكر التربوي الصوفي قراءة في التراث التربوي عند أعلام التصوف الإسلامي، دار نينوى، دمشق، 2010 .
14. البسطامي : المجموعة الصوفية الكاملة ، تحقيق قاسم عباس، دار المدي ، دمشق ، 2004 .
15. الجنيد : رسائل الجنيد ، تحقيق أحمد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2006 .
16. الراغب الأصفهاني : مفردات الفاظ القرآن ، دار العلم للنشر والتوزيع ، دمشق ، 1992 .
17. السهروردي : عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983 ، ص 278 .
18. السيد محمد الشاهد : الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ، مجلة الاجتهاد ، 1994.
19. الطوسي : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، ضبطه وصحّحه كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط 1 ، 2001 .
20. أمال محمد عامر : البعد الأخلاقي وفلسفه المجاهدة الصوفية المجلة الجامعة، العدد السادس عشر، المجلد الثالث، يوليو ، 2014 .
21. أنا ماري شيميل : نموذج مشرق للاستشراق ، ط1، ترجمة ثابت عيد، تقديم محمد عماره، دار الرشد، القاهرة ، 1998 .
22. أنا ماري شيميل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ط1، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، بغداد، 2006.

23. أنا ماري شيميل : الإسلام دين الإنسانية ، تقديم محمود حمدي زقزوق ، ترجمه وتعليق صلاح عبد العزيز محبوب ، مراجعه محمود فهمي حجازي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 2000
24. أنا ماري شيميل : الجميل والمقدس دراسات غير تقليدية في الحضارة الإسلامية ، ط1 ، تحقيق عقيل يوسف عيدان ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الكويت ، 2008 .
25. أنا ماري شيميل : الشمس المنتصرة في آثار جلال الدين الرومي، ترجمة عيسى علي العاكوب، وزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي، طهران ، بدون تاريخ .
26. أنا ماري شيميل : روعي أنثي الأوثة في الإسلام، ط1، ترجمة لميس فايد، الكتب خان، القاهرة، 2016.
27. جمال سلطان : الغارة على التراث الإسلامي ، مكتبة السنة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1990.
28. حسن ابن محمد سفر القيمة وعنوانها : الموضوعية في الاستشراق المستشرقة الألمانية أنا ماري شيميل (1920 - 2003) نموذجاً ، المجلد (2) العدد (5) ، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ، 2005 .
29. خالد زيادة : لم يعد لأوروبا ما تقدمه للعرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2015.
30. زهير الحيدري : جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي دراسة في أهم آراء ومؤلفات المستشرقين في التصوف الإسلامي، مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية، العدد3، جامعه القادسية، ٢٠١٠.
31. ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، ط 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 .
32. سعيد حوي : جند الله ثقافة وأخلاقاً، ط3 ، مطبعة دار التراث العربي، القاهرة ، 1980.
33. صادق العبادي : أنا ماري شيميل السفير الثقافي بين الشرق والغرب ، مجلة الفيصل ، العدد 322 ، يونيو دار الفيصل الثقافية ، 2003 .
34. طيب تيزيني : التصوف العربي الإسلامي فريدة في الحضور الوجودي والاستحقاق القيمي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011 .
35. عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، 1973.
36. عبدالحكيم عبدالغني قاسم : المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1989.
37. عبدالرازق ابن عبدالمحسن : عشر قواعد في تركيب النفس ، ط1 ، مكتب ادقار ، 2018 .
38. عبدالرازق الكيلاني : الشيخ عبدالقادر الجبلاني الإمام الزاهد القدوة، ط 1، دار القلم ، بيروت، 1994.
39. عبدالرحمن بن خلدون : المقدمة ، ط 1 ، ج 2 ، دار البلخي ، دمشق ، 2004
40. عبدالرحمن عبدالخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، الكويت، مكتبة ابن تيمية.

41. عبدالقادر عطا: التصوف الإسلامي بين الأصالة والافتباس في عصر النابلسي دارالجيل، بيروت، 1987.
42. عبدالكريم الخطيب : التصوف والمتصوفة ، ط 1 ، دار الفكر العربي ، 1980
43. عبدالكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1963 .
44. عبدالكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف زريق وعلي عبدالحميد، دار الخير، دمشق وبيروت ، ط 1 ، 1988.
45. عبدالله بن علي بصفر : ومضات في تزكية النفس، ط2 ، دار نور المكتبات، 2005 .
46. عبدالمجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
47. عمرو فروخ : التصوف في الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1401.
48. فائزة بنت عمور: التصوف الأنثوي في الثقافة الإسلامية في مرآة الآخر، أنا ماري شيميل من خلال كتابيها روعي أنثى وعنادل تحت الثلج، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، العدد(7)، ديسمبر 2018.
49. محمد أحمد الأطرش : حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها، دار الإيمان، الإسكندرية، 2002.
50. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين، ط2، ج1، دار القيم، الدمام، 1994.
51. محمد فتح الله كولن : التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ط 3 ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2006 .
52. محمد كمال جعفر : التصوف طريقا وتجربه ومذهبا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1980.
53. محمود حمدي زفزوق : الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف ، 1997.
54. نزار العاني : الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 .
55. نهاد خياطة : دراسة في التجربة الصوفية، ط1، دار المعرفة ومطبعة الصباح، دمشق، 1994.
56. يوسف زيدان : شعراء الصوفية المجهولون ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 .
57. يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 ،
58. يوسف زيدان : عبدالكريم الجيلي فيلسوف التصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1988.

المراجع الأجنبية

-James, William. The Varieties of Religious Experience, New York: Doubleday& Company, Inc, 1978, p.370

